الثنائي الدموي

أكثر القصص التاريخية رعبًا

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

الشمري، يوسف حمود سعد
الثنائي الدموي: أكثر القصص التاريخية رعبًا/ يوسف حمود سعد الشمري. - القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع/ ط١/ القاهرة: ٢٠١٧م.
١٨٤ص؛ ١٧×٢٤سم
تدمـــــك: ٣-٢١-٦٥١٩-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٣١٩١
١- القصص التاريخية ٢- القصص العربية
أ- العنوان ٨١٣،٠٨٧١

دار النشـــــر: نيو بوك للنشر والتوزيع
عنـــوان الكتـاب: الثنائي الدموي: أكثر القصص التاريخية رعبًا
الـــكـــاتـــب: يوسف حمود سعد الشمري
رقـــم الطبعـــة: الأولى
تـاريـــخ الطـبـــع: ٢٠١٧

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

ويحذر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

نيو بوك
٦ عمارات الدفاع الوطنى - حدائق القبة - القاهرة
ت: ٠١٠٩٢٦٧٣٢٧٤
newbooknb@gmail.com

الثنائي الدموي

أكثر القصص التاريخية رعبًا

يوسف حمود سعد الشمري

NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع

2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى.. أرواح الشـهداء والضحايـا والمظلومين الذين ذهبـوا أو ماتوا على يد الظالمين المذكورين في هذا الكتاب..

إلى.. كل إنسان قارئ ومطلع على القراءة والمعرفة وكسب الثقافة..

يوسف حمود سعد الشمري

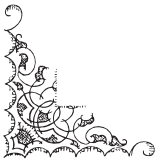

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	7
المقدمة	11
الفصل الأول: الأسر الحاكمة في أوروبا الشرقية (الطبقة النبيلة)	13
❐ أوروبا الشرقية: فلاد الولاشي - إستيفان باثوري	15
❐ أوروبا الشرقية: إليزابيث باثوري - الخادمة آنا	35
الفصل الثاني: إمبراطوريات الخلافة الإسلامية (الدولة الأموية-الدولة العباسية)	45
❐ الدولة الأموية: عبد الملك بن مروان - الحجاج بن يوسف الثقفي	47
❐ الدولة العباسية: أبو العباس السفاح - أبو مسلم الخراساني	60
الفصل الثالث: الخناقين (السلطنة العثمانية - مصر - إسكتلندا)	75
❐ الدولة العثمانية: السلطانة صفية - السلطان محمد الثالث	77
❐ مصر 1920م: ريا وسكينة .. الشقيقتان السفاحتان	90
❐ إسكتلندا القرن التاسع عشر: بيرك وهير	101
الفصل الرابع: أبطال الحرب العالمية الثانية: (روسيا البلشفية - ألمانيا النازية)	113
❐ روسيا ستالين (الاتحاد السوفييتي): إستالين والقزم الدموي	115
❐ ألمانيا هتلر 1933 - 1945م: أدولف هتلر - جوزيف مينغلي	138
الفصل الخامس: مذابح ومجازر عرب آسيا (العراق - سوريا - لبنان)	153
❐ العراق 1979 - 2003م: صدام حسين - علي الكيماوي	155
❐ سوريا 1982م: حافظ الأسد - رفعت الأسد	166
❐ لبنان 1982م: آرييل شارون - إيلي حبيقه	175
الخاتمة	183

المقدمة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30].

تفسيرا لهذه الآية الكريمة أن الملائكة قارنت سفك الدماء لبني آدم لما حدث للجن قبل بني آدم. والجـن هم الخلق الأول والبشر هم الخلق الثاني، والجـن كانوا يقتلون بعضهم ويحاربون بعضهم بعضًا لسنوات طويلة وحتى الآن، وأتى الإنسان وكان مثل الجن في سفك الدماء.

وتوعد الله الجن والإنس بالعقوبة يوم القيامة.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: 115].

اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى العدل، و يقضي بين الخلق بالعدل.

الفصل الأول

الأسر الحاكمة في أوروبا الشرقية

(الطبقة النبيلة)

الفصل الأول

الأسر الحاكمة في أوروبا الشرقية
(الطبقة النبيلة)

أوروبا الشرقية

فلاد الولاشي

إستيفان باثوري

يقـال إنه في زمن من الأزمان حدثت في أوروبا مجـازر ومذابح وقتل متوحش؛ لدرجة أنه لا يمكن لأي إنســان أن يصدقه أو يتخيله. وأبطال هذه القصة هما رجلان من شرق أوروبا في دولة رومانيا في هذا العصر واسـتقلت هذه القصة لدى المفكرين عبر الزمن في الحديث عنهما ثقافيًّا وفنيًّا، والآن إليك القصة كاملة...

دراكولا كما نتخيله اليوم في قصص وأفلام الرعب

البعض يعتقد أن دراكولا مصاص الدماء الذي يظهر في أفلام الرعب السينمائية هو مجرد شخصية خيالية لا تمت إلى الواقع بصلة. لكن الحقيقة شيء آخر، فدراكولا حقيقي مائة في المائة، وقد عاش هذا القاتل الرهيب في رومانيا القرن الخامس عشر. والغريب هو أنه برغم جميع موبقاته وجرائمه، وبرغم شلالات الدم التي أراقها .. برغم ذلك كله .. يعد داركولا بطلًا قوميًّا في نظر أغلب الرومان اليوم، فهو بنظرهم الرجل الذي دافع عن استقلال إقليم والاشيا الروماني ضد المطامع العثمانية والبلغارية.

صورة تاريخية للأمير فلاد الثالث .. دراكولا الحقيقي.

اسمه الأمير فلاد الثالث، حكم رومانيا لفترات متقطعة أمدت إجمالا لسبع سنوات بين عامي 1455 - 1476، وشهرته تيبس، أي المخوزِق؛ لأنه كان مشهورًا بخوزقة الناس بالجملة. أما لقب دراكولا فمعناه ابن التنين، وقد ورثه عن أبيه الأمير فلاد الثاني الذي اكتسب هذا اللقب بانضمامه إلى (عصبة التنين)، وهي عصبة واتحاد سري ضم مجموعة من أمراء ونبلاء أوروبا الوسطى والشرقية للوقوف بوجه المد التركي العثماني. فالأمير فلاد عاش خلال فترة حرجة من تاريخ أوروبا الشرقية، فبعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح أصبح البلقان بأسره ساحة مفتوحة أمام الجيوش العثمانية، وغدت مقاطعة والاشيا الرومانية عالقة ما بين مطرقة العثمانيين وسندان الهنغاريين، وكلاهما طامع يتهدد كيان ووجود هذه

الإمارة الصغيرة، وقد زاد من الطين بلة، تناحر أمراء والاشيا المستمر على العرش، ومؤامرات النبلاء البويار الذين استغلوا هذا التناحر لتعزيز نفوذهم ومصالحهم.

دراكولا أمضى ردحًا من شبابه برفقة شقيقه الأصغر رادو في مدينة أدرنه التركية، حيث بقيا هناك لأربعة سنوات كرهائن لضمان ولاء والدهما للعثمانيين، هناك تعلما اللغة التركية وتعرفا على التقاليد العثمانية، ويقال إن فلاد غالبا ما كان يتعرض للضرب والتعنيف من قبل الأتراك بسبب شخصيته الجريئة والمتحدية، على العكس من شقيقه رادو الذي اندمج كليًّا مع الثقافة العثمانية فأشهر إسلامه وصار من المقربين إلى السلطان. ويبدو أن تلك الفترة الصعبة من حياة دراكولا قد أثرت في نفسه كثيرًا ولعبت دورًا كبيرًا في تأصيل كرهه العميق للأتراك، وهو كره لم يدانيه في المرتبة سوى كرهه لطبقة البويار في والاشيا، فهؤلاء كانوا قد تآمروا على والده وقتلوه، ودفنوا شقيقه الأكبر حيا بعد أن اقتلعوا عينيه.

فترة حكم دراكولا لم تتجاوز إجمالًا السبعة أعوام كما قدمنا، وهي مدة قصيرة جدًّا مقارنة بأعداد البشر الذين قتلهم، والذين ناهز عددهم المائة ألف إنسان، أغلبهم من الأتراك والبويار. ففي إحدى رسائله لملك هنغاريا يقول دراكولا:

«لقد قتلت الفلاحين الأتراك من الرجال والنساء .. الشيوخ والشباب .. على طول الدانوب .. لقد قتلنا 23884 منهم، من دون حساب هؤلاء الذين أحرقناهم أحياء في بيوتهم أو الذين قطعت رؤوسهم بواسطة جنودنا، لذلك يا جلالة الملك، عليك أن تعرف أنني قد نقضت السلام معه - يعني السلطان محمد الثاني -».

وبسبب هذه المجازر الفظيعة، أرسل السلطان جيشًا عثمانيًّا بقيادة حمزة باشا للاقتصاص من دراكولا وقتله، لكن ما أن عبر هذا الجيش العرمرم إلى الضفة الأخرى من الدانوب حتى وقع في كمين محكم نصبه له دراكولا وجيشه الصغير، وخلال ساعات فقط تبدد الجيش العثماني برمته، واعتلى جنوده رؤوس آلاف الخوازيق التي نصبها دراكولا لهم .. أطولها كان خازوق حمزة باشا نفسه.

أوروبا بأسرها ابتهجت لانتصار دراكولا على العثمانيين، فيما استشاط السلطان محمد الفاتح غضبا لمصير جيشه، فجهز جيشًا عثمانيًّا جرارًا قاده بنفسه للقضاء على دراكولا

واحتلال والاشيا، لكن هذه الحملة العسكرية لم تفض إلى أي شيء، فدراكولا الخبير بأساليب القتال العثمانية، لم يخض معركة ناجزة مع السلطان، و إنما لجأ لحرب العصابات، خصوصًا أسلوب الغارات الليلية، وهي غارات ألقت الرعب في قلوب العثمانيين، وزاد من رعبهم واشمئزازهم ذلك المنظر البشع الذي كان ينتظرهم على سفوح التلال المحيطة بأسوار مدينة تراجوفشت الرومانية، حيث انتصبت غابة كاملة من الخوازيق تكللت رؤوسها المدببة بجثث عشرين ألف إنسان، غالبيتهم من الجند العثمانيين. و يقال بأن بشاعة هذا المنظر، ورائحة تحلل الجثث التي لا تطاق، دفعت السلطان إلى التخلي عن فكرة مطاردة دراكولا، فقرر العودة على وجه السرعة إلى عاصمته الجديدة القسطنطينية، وعوضا عن إرسال المزيد من الجيوش لجأ السلطان إلى أسلوب جديد .. المال والدسائس .. وقد أتت هذه الطريقة أوكلها في النهاية، فتمكن رادو، شقيق دراكولا المتحالف مع العثمانيين من الإطاحة بأخيه وتنصيب نفسه أميرًا على والاشيا، في حين انتهى المطاف بدراكولا سجينًا في هنغاريا.

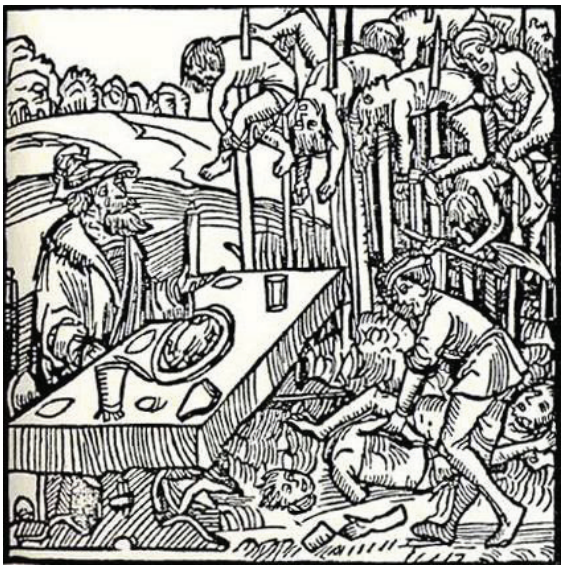

كان مولعاً بالخوزقة .. صورة تاريخية يظهر خلالها وهو يتناول طعامه فيما يقوم جلادوه بتقطيع وخوزقة الناس أمامه ..

لقد استمرت إمارة رادو قرابة العشرة أعوام، وبعد موته عاد دراكولا ليعتلي عرش الإمارة من جديد، لكنه لم يبق في منصبه لأكثر من شهرين ليطاح به مجددًا في عام 1476، حيث لقي حتفه أخيرًا إما اغتيالا أو خلال إحدى معاركه مع الأتراك الذين قاموا بقطع رأسه و إرساله إلى إسطنبول، حيث عرض هناك في مكان عام ليشاهده جميع الناس و يتأكدوا من نهاية الوحش الذي بث الرعب في قلوبهم لسنوات طويلة. أما جسد دراكولا فيقال إن بعض المخلصين له قاموا بدفنه سرًّا تحت أحد الأديرة القديمة. وقام بعض المنقبين وعلماء الآثار بالتنقيب حديثا

في مقبرة تنسب إلى دراكولا، لكنهم لم يجدوا أي جسد، ويقال بأن التابوت كان فارغا، وهو الأمر الذي أسهم في زيادة الأساطير والخرافات التي تحاك حول الرجل وحول حقيقة كونه مصاص دماء.

فلاد دراكولا كان قاسيًا جدًّا، لا يتورع عن قتل الناس لأتفه الأسباب، إلى درجة أن أهل والاشيا كانوا يتركون حاجياتهم في الأسواق من دون أن تمتد يد اللصوص إليها بالسرقة خشية من عقاب وبطش دراكولا، إذ كان يوسط الناس، ويسلخهم أحياء، ويشويهم على النار، ويقطع أطرافهم، ويفعل بهم الأعاجيب، وكان فنانا في استعمال الخازوق .. والخازوق هو وتد خشبي مدبب الرأس يدفع بالقوة داخل جسد الإنسان، غالبا عبر فتحة الشرج، ثم يرفع ويثبت إلى الأرض بصورة عمودية، فيرتفع المخوزق معه حتى لكأنه جالس فوقه، ويبدأ رأس الخازوق في الغوص داخل جسده أكثر فأكثر بفعل الجاذبية الأرضية، حتى يخترق الأحشاء ويخرج عبر الفم أو الصدر، وتختلف سرعة وقوع الموت بحسب خبرة الجلاد وإتقانه لعمله، فكلما كان رأس الخازوق مدببا ومدهونا أكثر، كلما كان مروره أسرع، وكلما أقبل الموت أبكر. ولم يكن دراكولا يكتفي بخوزقة الناس في أدبارهم، وهي الطريقة الشائعة، بل خوزقهم في بطونهم وأقدامهم وأيديهم ورقابهم أيضًا، وخوزق بالمقلوب!، أي من الفم إلى الدبر، ولم يستثن من ذلك النساء والشيوخ، ولا حتى الطفل الرضيع. فالرجل كان ساديا مجنونا .. في إحدى المرات أمر بتثبيت عمائم السفراء الأتراك بالخوازيق إلى رؤوسهم لأنهم رفضوا أن يخلعوها احتراما له حين دخلوا بلاطه. وفي مرة اجبر رجل من أعداءه على أكل كبد زوجته المذبوحة!، وكان يروق له أن يطبخ الناس في قدور كبيرة، ويتلذذ بقطعهم إلى نصفين بالسيف وهم أحياء يصرخون.

البضائع تترك في السوق من دون أن يسرقها أحد خوفاً من الخازوق..

أما قلعته فكانت مسلخًا بشريًّا مجهزًا بكل ما يخطر

على البال من وسائل القتل والتعذيب. كانت هذه القلعة مكانًا مرعبًا لا يتخيل الإنسان رؤيته في أبشع كوابيسه، فزائر تلك القلعة الرهيبة كان عليه أن يجتاز دربًا طويلًا للوصول إلى قاعة البلاط الرئيسية، وعلى جانبي ذلك الدرب الموحش كانت تنتصب غابتان من الخوازيق يجلس عليها المئات من الأشخاص ما بين حي وميت، ومع كل خطوة يخطوها الزائر كانت أنات وتوسلات الناس تشنف آذانه ويملأه رعبًا، وهي أصوات كان دراكولا شغوفًا بسماعها لأنها بالنسبة إليه كانت أعذب من زقزقة العصافير، ولم يكن يحلو له تناول طعامه إلا وهو يستمع إليها ويمتع ناظريه بمشهد جلاديه وجلاوزته وهم يقومون بتقطيع أوصال الناس وسلخهم أمامه. ويقال إنه كان يستمتع أحيانا بشرب عدة كؤوس من دماء ضحاياه بعد مزجها بالخمر، ولهذا اشتهر بين الناس كمصاص دماء. والظاهر أن الرجل لم يكن سويًّا وكان يعاني اضطرابات نفسية ومشكلات حقيقية في عقله، فخلال فترة سجنه التي امتدت لعدة سنوات في بلغاريا، كان يقوم بمطاردة الحشرات والجرذان في زنزانته ليقوم بخوزقتها باستعمال عصي خشبية صغيرة!.

ولعل أعظم مآثره، أو بالأحرى مجازره، هي تلك التي ترافقت مع بداية عهده كأمير على والأشيا، حيث قام بدعوة البويار إلى حفل ضخم أقامه على شرفهم، وخلال الحفل سأل دراكولا نبلاء البويار عن عدد الأمراء الذين عاصره كل منهم خلال حياتهم، فطفق هؤلاء يعددون، بعضهم قالوا بأنهم عاصروا أكثر من عشرة أمراء، وأقل واحد فيهم كان قد عاصر سبعة أمراء، فاستشاط دراكولا غضبا عند سماعه لذلك، وقال لهم إنكم ما عاشرتم كل هذا العدد من الأمراء إلا بسبب مؤامراتكم الخبيثة، فلا يبقى الأمير في منصبه سوى سنوات قليلة حتى يقتل أو يخلع بسبب دسائسكم وخياناتكم؛ ثم ذكرهم بقتلهم لأبيه، وقرعهم على تعذيبهم لأخيه ودفنهم إياه حيًّا، وفي النهاية أعطى إشارة لجلاوزته فانقضوا كالوحوش الكاسرة

الخوزقة .. من أبشع أنواع العقوبات ..

عـلى البو يار، يقطعونهم أربًا أربًا و يضعونهم على الخوزايـق، حتى أفنوهم عن بكرة أبيهم، لكن دراكـولا لم يكتـف بذلك، بل أرسـل جنوده يلاحقـون البو يار في طول البـلاد وعرضها، ينهبون ممتلكاتهم، و يغتصبون نساءهم و يستعبدون أطفالهم، و يقال بأنه خوزق عشرات الآلاف منهم.

أخيرا، فإنه و بغض النظر عن قسـوة دراكولا ودمو يته إلا أنه يعتبر بطلًا قوميًّا في بلاده، فهو بـرأي البعض لم يفعل ما فعل إلا دفاعًا عن اسـتقلال رومانيا، و يرى المؤرخين الرومان أن أغلب القصـص الدمو ية التـي رو يت عنه هي إما مبالـغ فيها أو من اختراع وتلفيـق أعدائه، خصوصا الهنغار يين، الذين كانوا يبررون تقاعسـهم عن مؤازرة دراكـولا في حر به مع العثمانيين بتر و يج هذه القصص عنه واتهامه بالجنون، و يجدون في ذلك وسـيلة لتبر يـر تبذيرهم وتبديدهم للأموال التي كان يرسلها لهم بابا روما لإقامة حلف مسيحي يدافع عن أور و با بوجه العثمانيين. و في المقابل فـإن أغلب القصص والأخبار التي لدينا اليـوم عن دراكولا أتت من مصادر أور و بية معاصرة له، خصوصا الألمانية والبولندية والروسـية، لذلك فإنه من المسـتبعد كون جميع تلك القصص ملفقة، والأرجح بنظري أن دراكولا كان قاسـيًا فعلًا، لكنه لم يكن فر يدًا من نوعه في ذلك الزمان، فهو عاش في حقبة قاسية كانت المجازر والمذابح ترتكب فيها من قبل جميع الأطراف.

هـذه القصة نـشرت لأول مـرة بالعربية في موقع كابـوس (مملكة الخوف سـابقا) بتار يخ 2002/ 07/ 18.

صور فلاد الولاشي (دراكولا)

إستيفان باثوري

يحكى إن آل باثوري هي أسرة تمتد جذورها إلى أصول نبيلة مالكة للثروة والسلطة وقد امتد نفوذها إلى المجر وسلوفاكيا وبولندا وعائلة باثوري استخدمت أموالها في إنجازات عظيمة حققت بها فوائد تغفر لها جزءًا من تاريخها الدموي.

و إستيفان هذا هو كان القائد المخلص (لفلاد الولاشي) وكان هو ذراعه الأيمن وشاركه في كل معاركه وبعد مقتل (فلاد الولاشي) انتهى عصر دراكولا وبدأ إستيفان جد عائلة باثوري بالقتال والنضال للحصول على الحكم وقد نال مبتغاه.

وبدأ عصر أسرة آل باثوري المرعب والرعب هو شعار ورمز أسرة آل باثوري الحاكمة في ذلك الوقت.

ويبدو أن العدوانية والظلم صفة متوارثة لدى أسرة آل باثوري وقد توارثوها إلى أن وصلوا إلى المرأة الأكثر دموية وقتل في تاريخ أوروبا (إليزابيث باثوري) الشخصية التي سوف تعرفها بعد هذا الثنائي.

دراكولا في عالم الثقافة

يقال إنه في شرق أوروبا لا يزال هناك مصاصو دماء يشاهدون عبر الزمن منهم من هو من البشر ومن هو من مخلوقات غريبة ليست بشرية وتم تشبيهها بدراكولا (فلاد الولاشي) ولمعرفة المزيد عن هذا الموضوع اقرأ كتابين يتحدثان عن هذه الظاهرة:

الكتاب الأول: (أشرار التاريخ) المؤلف مجدي كامل طبعة 2008م.

الكتاب الثاني: (دراكولا وحوش الليل وقصص رعب عالمية) المؤلف صلاح أبو ديه، طبعة 2014م.

رواية دراكولا لبرام ستوكر (موناليزا الأدب الإنجليزي):

ولد برام ستوكر (Bram Stoker) في كلونتارف في الجزء الشمالي من دبلن بأيرلندا وكان ذلك في 8 نوفمبر 1847م، وتوفي في 20 إبريل 1912م وهو أيرلندي الجنسية وهو روائي وكاتب

قصـص، وقد كتب 12 روايـة ونشر مجموعات من القصص القصيرة ولكن لم يعرف و يشـتهر هذا الكاتب إلا بعد أن كتب رواية دراكولا و إلى الآن هناك أكثر من 1000 رواية و200 فيلم صُنعوا عن مصاصي الدماء دراكولا فما هو أصل هذه الرواية ونشأتها لدى ستوكر؟

كتب سـتوكر هـذه الرواية من أحـداث حياة كل مـن الأمير فلاد الولاشي والكونتيسـا إليزابيث باثوري، ولكن هذه الفكرة ترسـخت في ذهن ستوكر من خلال صديقه البروفيسور مـن جامعة بودابسـت بهنغاريا عندما حكى هذا الأخير لسـتوكر عن قصص أسـاطير مصاص الدمـاء في ترانسـلفانيا وبعدها ذهب سـتوكر إلى لندن وأجرى دراسـة وبحثًـا عن المواضيع التاريخية عن مصاصي الدماء في أوروبا.

وكتب سـتوكر هذه الرواية الخالدة في سنة 1897م وحققت نجاحًا كبيرًا وعظيمًا في عالم الفن والثقافة والأدب والفكر وبات ستوكر من أعظم الروائيين حتى يومنا هذا وصنف اسمه مع الكبار في أوروبا مثل دافنشي وشكسبير وليو تلستوي.

صورة برام ستوكر

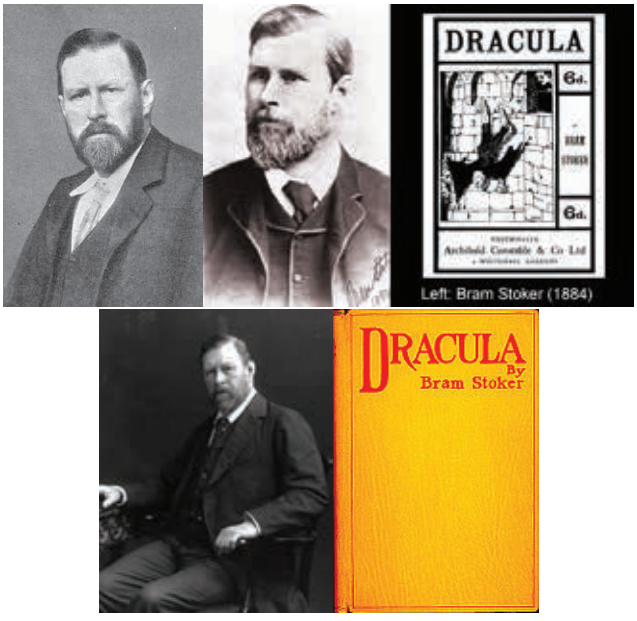

الطبعة الأولى لرواية دراكولا التي ألفها برام ستوكر

ستوكر والأسطورة الخالدة المماثلة له والمماثلة لروايته:

من منا لا يعرف لوحة الموناليزا اللوحة الأسطورية التي رسمها العالم الإيطالي المبدع ليوناردو دافينشي عام 1510م. شهرتها ومكانتها في العالم مثل شهرة ومكانة رواية دراكولا لستوكر.

ليوناردو دافينشي

لوحة الموناليزا

رواية دراكولا لستوكر (مقارنة أسطورية):

دافينشي أيرلندا

ستوكر إيطاليا

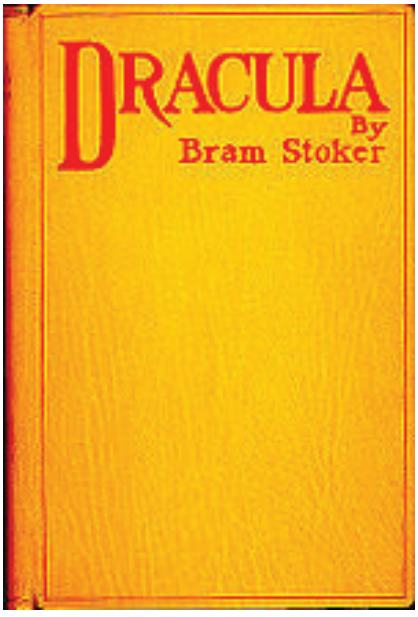

موناليزا أيرلندا

دراكولا إيطاليا

دراكولا في عالم الفن (السينما)

تعدد ظهور دراكولا في الأفلام السينمائية وكل هذه الأفلام تصب في خانة أفلام الرعب والخيال العلمي ولعل أبرز هذه الأفلام ما قدمه الممثل (بلا لو جوزي) (Belalygosi) الرائع لشخصية الكونت دراكولا مصاص الدماء في فلم أنتج في عام 1931م وشاركه زميله في هذا الفيلم (دانك دنجيونز) (Dank Dungeons)، ولكن الفيلم لم يحصل على جائزة الأوسكار كأفضل فيلم والتي بدأت سنة 1927م علمًا بأن عصر السينما الصامتة بدأ سنة 1902م وانتهى سنة 1927م مع انطلاق جوائز الأوسكار.

صور من فيلم دراكولا سنة 1931م

قائمة أفلام دراكولا عبر الزمن

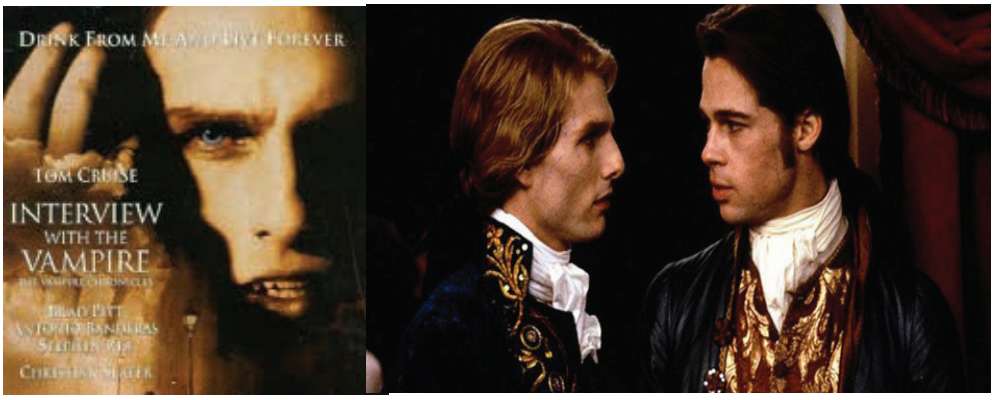

هذا الفيلم قدمه الممثلون برادبيت وتوم كروز وكرستين دانست، فيلم أمريكي أنتج في عام 1994م اسمه مقابلة مع مصاصي الدماء.

DRACULA
UNTOLD
UNIVERSAL
OFFICIAL TRAILER

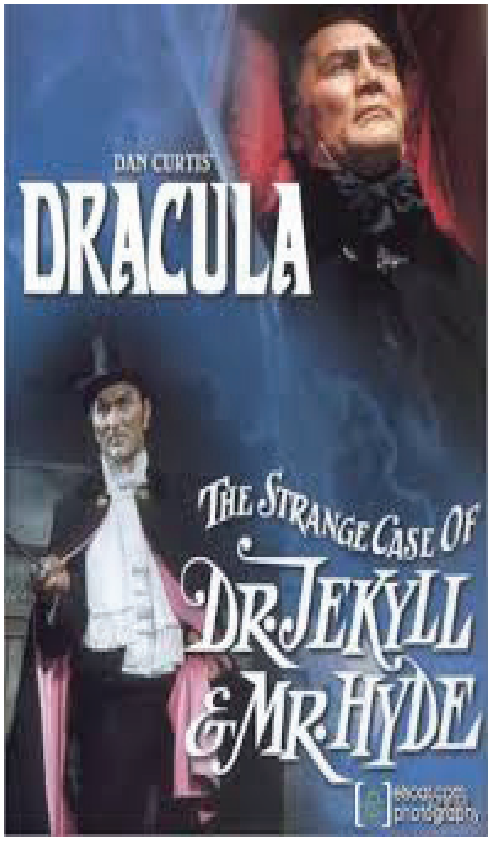
DAN CURTIS'
DRACULA
THE STRANGE CASE OF
DR. JEKYLL
& MR. HYDE

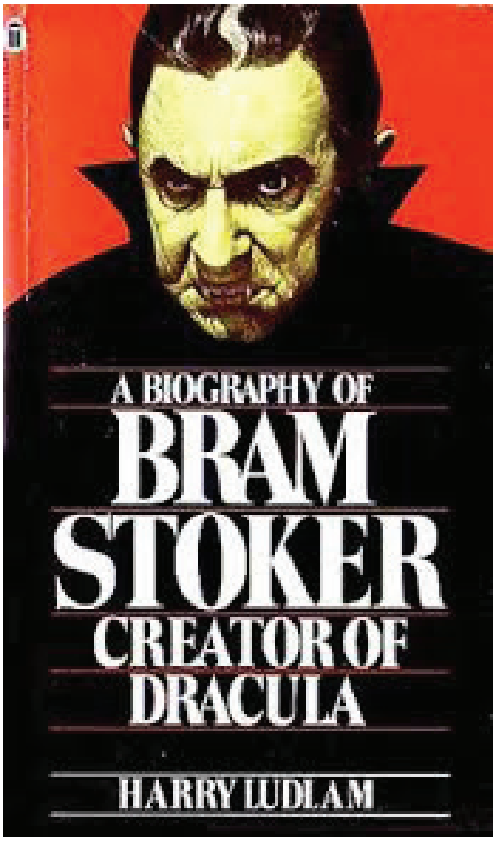
A BIOGRAPHY OF
BRAM
STOKER
CREATOR OF
DRACULA
HARRY LUDLAM

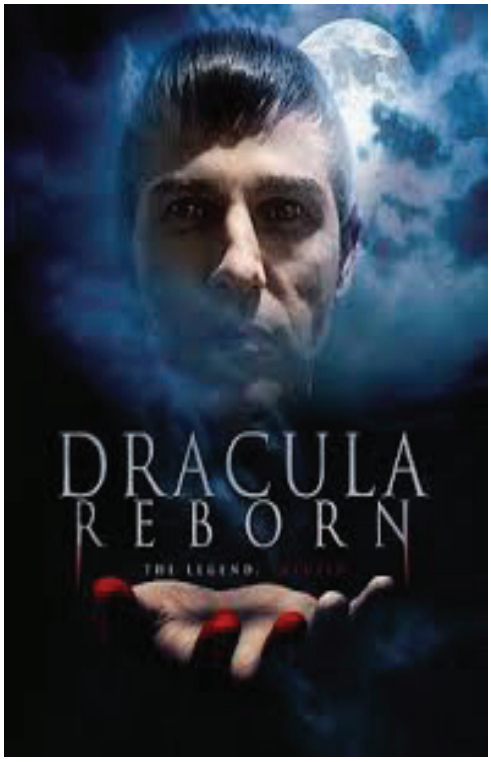
DRACULA
REBORN
THE LEGEND

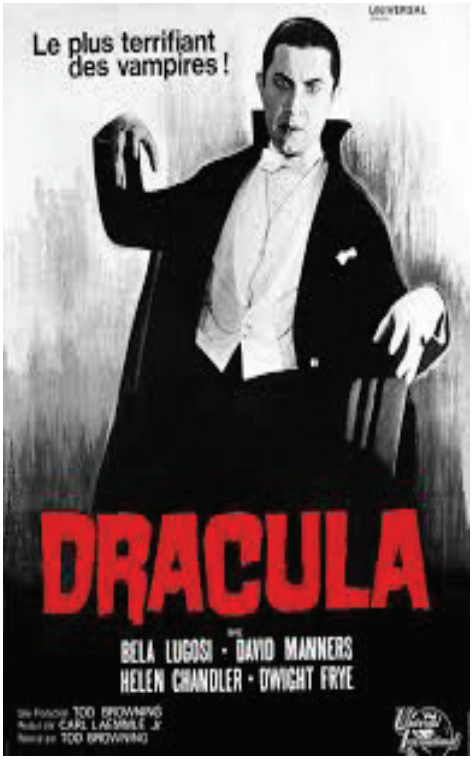
Le plus terrifiant des vampires !
DRACULA
BELA LUGOSI · DAVID MANNERS
HELEN CHANDLER · DWIGHT FRYE
TOD BROWNING
CARL LAEMMLE Jr
TOD BROWNING

DRACULA

DRACULA
BELA LUGOSI
DAVID MANNERS
HELEN CHANDLER
DWIGHT FRYE
EDWARD VAN SLOAN
TOD BROWNING
UNIVERSAL PICTURE
The story of the strangest passion the world has ever known!

EVERY BLOODLINE HAS A BEGINNING
DRACULA
UNTOLD
EXPERIENCE IT IN IMAX OCTOBER

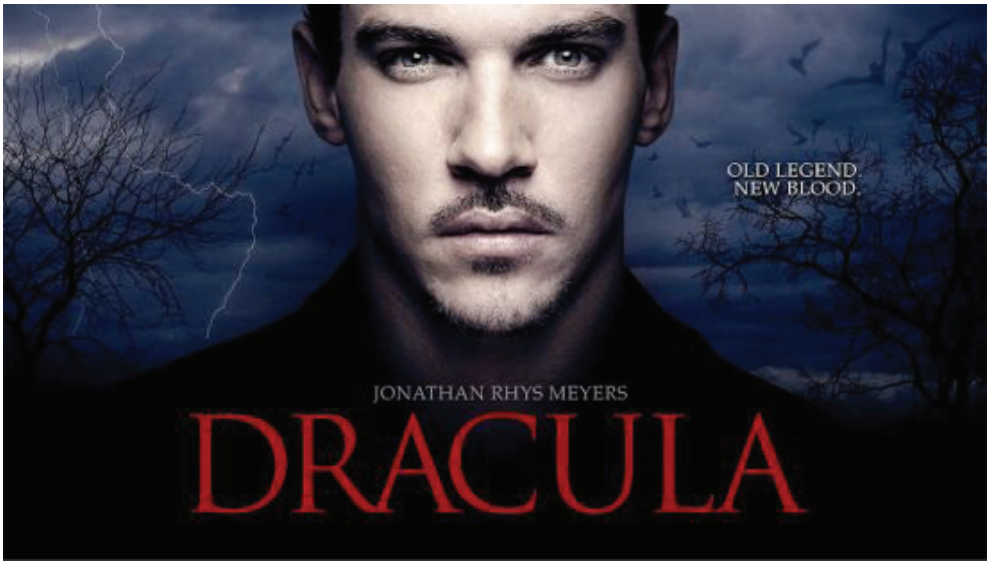
OLD LEGEND.
NEW BLOOD.
JONATHAN RHYS MEYERS
DRACULA

THE LEGEND IS BORN
DRACULA
UNTOLD

DRACULA
DRACULA
DRACULA
DRACULA
DRACULA
A NIGHTMARE OF HORROR!
DRACULA
Back to Thrill and Chill you!
DRACULA
BELA LUGOSI
DRACULA

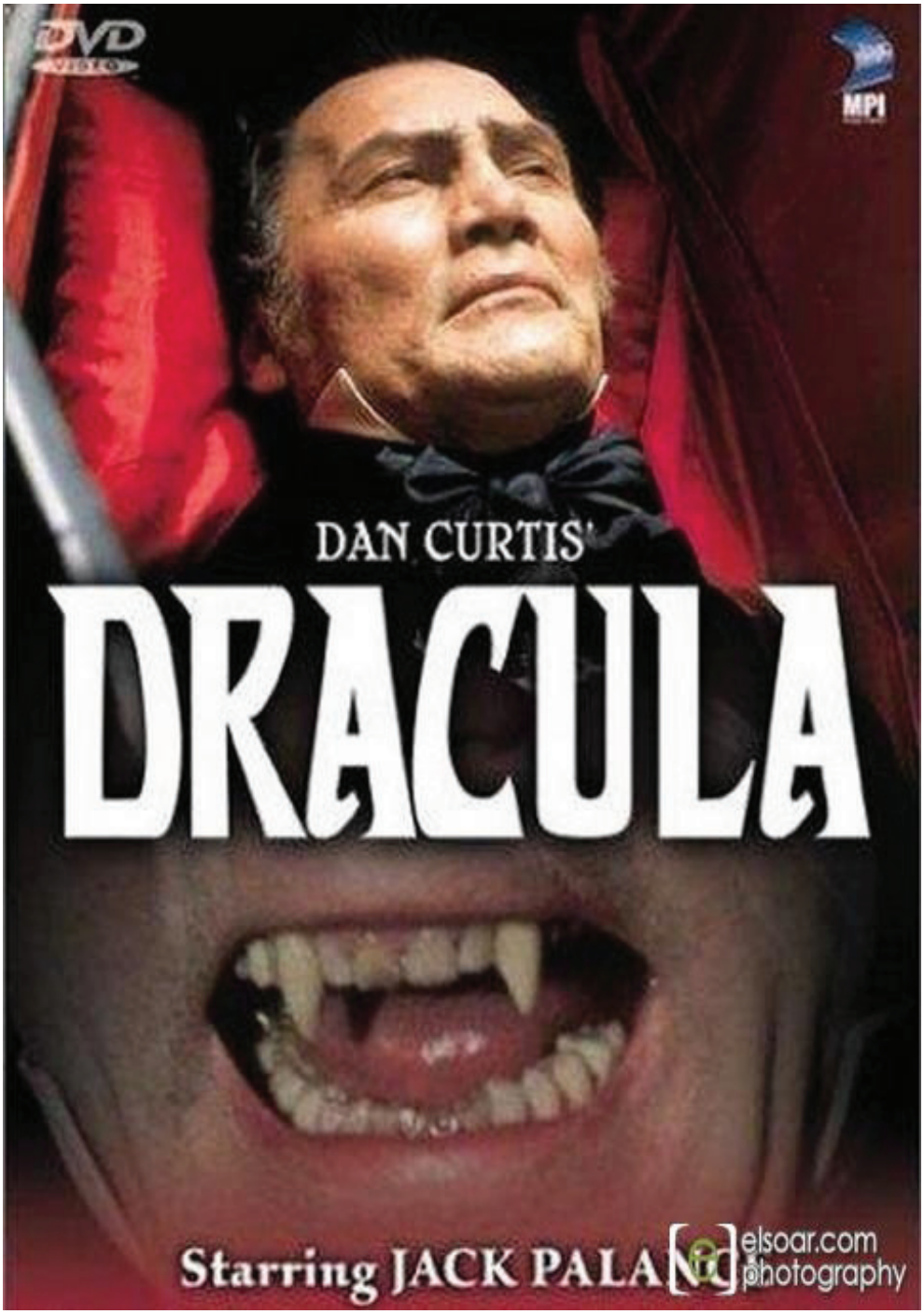
DVD
VIDEO
MPI
DAN CURTIS'
DRACULA
Starring JACK PALANCE
elsoar.com
photography

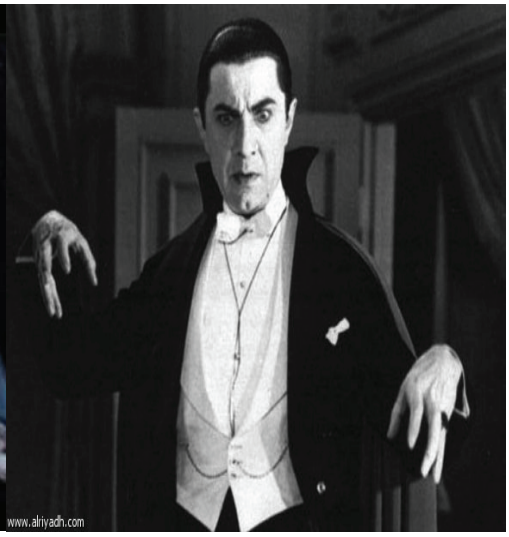
www.alriyadh.com

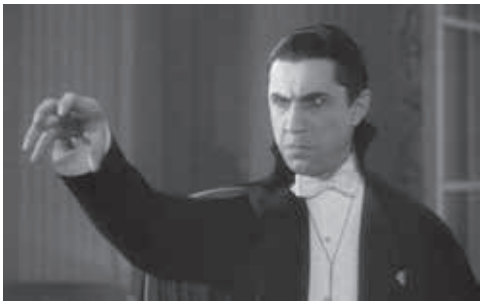

المصادر

1) محمد عبد الجواد، أشهر الجرائم في التاريخ، دار المشرق العربي، طبعة 2012. صلاح أبو ديه، دراكولا وحوش الليل، وقصص رعب عالمية، دار ابن النفيس، طبعة 2014م.

2) موقع كابوس، قسم عالم مصاص الدماء، بعنوان: من هو دراكولا الحقيقي.

3) https://www.google.com.sa/

4) https://ar.wikipedia.org/wiki/

5) http://bo-books.blogspot.com/2012/05/blog-post_11.html

6) https://en.wikipedia.org/wiki/Dracula_(1931_English-language_film)

7) http://westernscreen.com/archives/10846

8) http://www.kabbos.com/index.php?darck=21

9) http://www.dardarkom.com/23459-watch-and-dawnload-interview-with-the-vampire-1994.html

10) http://www.rottentomatoes.com/m/1006234-dracula

11) http://www.imdb.com/title/tt0021814

أوروبا الشرقية

إليزابيث باثوري

الخادمة آنا

عزيـزي القارئ كل إنسـان عاش في الدنيا هو عبارة عن أربع أشـياء وهـي الولادة والوفاة والروح والجسـد ولكن قصة حياة أي إنسـان في الدنيا لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وأبطال هذا الثنائي امرأتين من عالم الجنس اللطيف ولكن تجسدت فيهما روح شيطانية مرعبة جدًّا هذه القصة غريبة جدًّا جدًّا وأكثر الناس لا يصدقونها ولك القصة كاملة وخلاصة مفيدة عنها.

إلى اليمين صورة متخيلة للكونتيسة وهي تستحم بدماء ضحاياها
أما إلى اليسار فلوحة حقيقية ونادرة لها.

قصة أغرب من الخيال .. لكنها حقيقية .. عن كونتيسة هنغارية حولت قلعتها إلى مسلخ بشري من أجل المحافظة على جمالها !! قامت بقتل وتقطيع أوصال 650 فتاة بريئة لتستحم بدمائهن، ورغم وجود الوثائق التي تؤكد حدوث هذه الجرائم، ورغم العثور على أوراق المحاكمات التي أجريت للكونتيسة ومعاونيها في مطلع القرن السابع عشر، فإن هناك اليوم بعض المؤرخين ممن يقدحون بصحة تلك الوثائق التاريخية و يعدونها جميعها ملفقة لغرض تصفية حسابات سياسية خاصة مع عائلة الكونتيسة ذات النفوذ الكبير في الدولة آنذاك .. على كل حال .. إليك عزيزي القارئ القصة المخيفة والمثيرة لكونتيسة الدم الهنغارية.

الكونتيسة الوحشية التي كانت تستحم بدماء ضحاياها

ولدت إليزابيث باثوري (Countess Elizabeth Báthory) في هنغاريا عام 1560، أي بعد مائة عام بالضبط على موت قريبها الكونت دراكولا الحقيقي، كان والداها - جورج وآنا - ينتميان إلى أغنى وأعرق العائلات التي تعود أصولها إلى إقليم ترانسيلفانيا الروماني، تلك البقعة التي اشتهرت بتاريخها الدموي فكانت مرتعًا خصبًا لظهور قصص مصاصي الدماء، وما زالت حتى اليوم تنتصب في بعض أرجائها أطلال قلعة الأمير فلاد الرابع - دراكولا - المرعبة.

كانت عائلة باثوري ذات نفوذ سياسي كبير، فابن عم إليزابيث كان يشغل منصب رئيس وزراء هنغاريا، في حين كان خالها إستيفان ملكًا على بولندا؛ لكن إلى جانب القادة والعظماء ضمت العائلة أيضًا بعض الأقارب غريبي الأطوار، فأحد أخوال إليزابيث كان معروفًا بعبادة الشيطان، وآخر كان مجنونًا، فيما كانت إحدى عماتها ساحرة وشاذة جنسيًّا.

إليزابيث الصغيرة كانت فتاة جميلة تتلمذت على يد أفضل المدرسين، تشبعت بعلوم وفنون ذاك الزمان فشبت متعلمة - وهي من الحسنات النادرة في ذلك العهد - تقرض الشعر وتتكلم أربع لغات. وفي سن الخامسة عشرة تزوجت الكونتيسة من الكونت فيرينك نيداسدي (Ferenc Nádasdy) الذي كان يكبرها بعشرة أعوام، وانتقلت لتعيش معه في قلعة كسيتز، وهي قلعة نائية تتربع على سفوح الجبال، كانت هي والقرية المحاذية لها مِلكا صرفًا لعائلة الكونت.

بقايا قلعة الكونتيسة ويمكنك عزيزي القارئ رؤية القرية التي كانت إليزابيث تحصل على الفتيات منها في الوادي.. أعلى اليسار صورة لزوج الكونتيسة.

كان الكونت فيرينك نيداسدي بطلًا قوميًّا في هنغاريا، أمضى ردحًا طويلًا من حياته في محاربة الأتراك العثمانيين، وقد أثبت شجاعته وجرأته في ساحة المعركة، فنال عن جدارة لقب (العُقاب الأسود) وهو من أعلى وأرفع الألقاب شأنًا في هنغاريا آنذاك.

في أثناء غياب زوجها في ساحات الوغى وخلال 25 سنة من زواجها اعتادت إليزابيث البقاء وحيدة في قلعتها الموحشة، أصبحت حياتها مملة فأخذت تمضي وقتها حينًا بإيذاء خادماتها وتارة بالوقوف أمام المرآة لعدة ساعات تتطلع إلى جمالها الآخاذ وقوامها الممشوق، ولم يلبث أن دفعها الملل إلى اتخاذ عدد من الشبان الوسيمين كعشاق، حتى إنها هربت مع أحدهم في إحدى المرات، لكنها عادت بعد أن صفح زوجها عنها.

وكانت زيارة عمتها من المتع التي لم تفوتها إليزابيث خلال فترة غياب زوجها، فتلك العمة التي تدعى الكونتيسة كلارا باثوري كانت معروفة بغرابة أطوارها وبفسوقها العلني، وربما شاركت إليزابيث عمتها في جنونها في أثناء الحفلات الباذخة الفاجرة التي كانت تحييها باستمرار. كما بدأت إليزابيث في تلك الفترة تُظهر اهتمامًا كبيرًا بمسائل السحر الأسود والشعوذة. فقد كانت إحدى وصيفاتها ساحرة حقيقية علمتها كل طرق التنجيم والسحر، كان اسمها دوركا وقد أصبحت فيما بعد مساعدة الكونتيسة في تنفيذ جرائمها القذرة، ويقال إنها هي التي شجعتها على القيام بتلك الموبقات.

إليزابيث كانت سادية تجد متعة لا توصف في تعذيب خادماتها الشابات، كان يساعدها في تلك المهمة عدد من الخدم منهم مربيتها العجوز إيلونا جو وخادم يدعى فيكو وكذلك وصيفة تدعى آنا درولا، إضافة طبعًا إلى وصيفتها دوركا؛ وبمساعدة هذه المجموعة الشيطانية

بلاط إليزابيث في القلعة كان مسلخًا بشريًّا

حولت إليزابيث قلعتها إلى مكان شرير. كانت تجد حججًا لا تنتهي لمعاقبة الناس؛ كانت تنزع الملابس عن ضحاياها ثم تجلدهم بالسياط على أجسادهم العارية، وكان الرعب المرتسم على وجوه أولئك الضحايا التعساء يجعلها تشعر بنشوة لا تقاوم.

في عام 1600 مات زوجها الكونت فيرينك، ربما جراء جرح أصابه في إحدى المعارك، وبدأت بموته فترة الرعب الحقيقية؛ إذ قامت إليزابيث بإرسال والدة زوجها وكذلك أطفالها إلى خارج القلعة لكي تمارس جرائمها الشريرة بدون إزعاج.

شيء ما حدث في حياة إليزابيث في تلك الفترة جعلها تشعر بالقلق وتزداد جرأة ووحشية في جرائمها؛ ففي ذلك الوقت أصبح عمرها أربعين عامًا وبدأت تقلق كثيرًا حول جمالها، حاولت إخفاء التجاعيد التي غزت وجهها بواسطة مستحضرات التجميل، لكن رغم جميع محاولاتها ترسخ شعورها يومًا بعد آخر بحقيقة أنها أصبحت متقدمة بالعمر وأن جمالها سيذوي ويزول لا محالة.

وفي أحد الأيام، بينما كانت إحدى خادماتها الشابات تسرح شعرها الطويل الجميل، حدث أن أخطأت الفتاة العاثرة الحظ فسحبت من دون قصد شعر سيدتها بشيء من القوة، مما أثار حنق الكونتيسة وغضبها، فضربت الفتاة على وجهها وانفجر الدم من أنف الخادمة لتسقط بضع قطرات منه على يد الكونتيسة الثائرة .. رؤية دم الخادمة يسيل على يدها جعل الكونتيسة تشعر بنشوة عارمة لا توصف، وحين فركت البقع الحمراء ببطء عن يدها ظهرت بشرتها من تحتها باردة وطرية فأيقنت الكونتيسة بأن هذا الدم سيعيد إليها شبابها وحيويتها ويجعل جلدها الناعم أكثر بياضًا ونضارة.

وفي الحال أقدمت الكونتيسة بمساعدة وصيفتها دوركا وخادمها فيكو على تجريد الفتاة

المسكينة من ملابسها ثم قطعت شرايينها وعلقتها بالحبال فوق وعاء معدني كبير؛ وهكذا ظلت الفتاة تنزف حتى آخر قطرة دم، وحين فارقت الحياة أخيرًا سحبها الخدم بعيدًا ثم دخلت إليزابيث إلى الوعاء المعدني وتمرغت واستحمت بدماء الخادمة المقتولة. لقد أضحت متأكدة الآن بأنها وجدت الطريقة المثلى لإعادة شبابها .. لقد اكتشفت إن الدم هو مصدر الحياة.

كانت تستمتع بحمامها الدموي اليومي - **صورة من فيلم إليزابيث السلوفاكي** 2008

خلال الأعوام العشرة التالية قتلت الكونتيسة الدموية المزيد من الفتيات الشابات اللواتي كان خدمها يأتون بهن من قرية الفلاحين الفقيرة الواقعة على سفح الجبل، كانوا يخدعون ويغرون الفتيات الفقيرات بالحصول على عمل مريح في قلعة الكونتيسة وبرواتب مرتفعة، وما أن تنطلي الحيلة على الفتاة وتخطو إلى داخل قلعة الموت حتى تصبح خطواتها تلك هي الأخيرة في حياتها، فسرعان ما كانت تنتهي مقتولة ومعلقة فوق الوعاء المعدني الكبير لكي تتمكن سيدة القلعة الشريرة من أخذ حمامها الدموي اليومي!.

في بعض الأحيان كانت الكونتيسة تقوم بشرب دماء ضحاياها من أجل الحصول على الصحة والعمر المديد، لكنها أحست بالتدريج بأن دماء الفلاحات الفقيرات القادمات من القرية له مفعول قليل الأثر على بشرتها، فتطلعت للحصول على نوعية أفضل من الدماء وقد وجدت ضالتها في فتيات الطبقة النبيلة اللواتي كانت عائلاتهن ترسلهن إلى قلعة الكونتيسة لكي يتعلمن منها أصول التصرف والتحدث بلباقة (الإتيكيت) في حفلات وتجمعات طبقة المجتمع الراقي، وقد لاقى عدد كبير من أولئك الفتيات النبيلات المصير الأسود نفسه الذي تجرعته قبلهن بنات الفلاحات الفقيرات.

لكن مع اختفاء فتيات العائلات النبيلة؛ ولأن الكونتيسة أصبحت أكثر تهورًا في اقتراف جرائمها. بدأت بالتدريج تنتشر شائعات كثيرة هنا وهناك حول مصير فتيات قلعة كسيتز المفقودات اللواتي أخذت أعدادهن تزداد يومًا بعد آخر، وأصبحت شكوى النبلاء الذين فقدوا

بناتهم تصل تباعًا إلى أسماع إمبراطور هنغاريا الذي أصدر في النهاية أوامره لرئيس الحكومة بإرسال قواته إلى قلعة الكونتيسة لتحري ما يجري هناك.

في 30 ديسمبر 1610 دخلت مجموعة من الجنود إلى قلعة الكونتيسة ليلًا .. في الداخل كانت تنتظرهم مشاهد مرعبة بكل معنى الكلمة، ففي وسط البهو الكبير كانت هناك فتاة ميتة لا توجد قطرة دم في جسدها؛ فتاة أخرى كان جسدها ينزف فوق وعاء معدني لكنها كانت لا تزال على قيد الحياة، وفي قبو القلعة اكتشفوا مجموعة من الفتيات اللائي كن ينتظرن مصيرهن الأسود في زنزانات صغيرة وقذرة حالكة الظلام، وبالقرب من سور القلعة على سفح الجبل اكتشف الجنود بقايا بشرية لأكثر من 50 فتاة.

في أثناء محاكمة الكونتيسة عام 1611 اكتشف المحققون أسماء 650 ضحية في دفتر ملاحظاتها؛ لقد كانت محاكمتها من أكبر المحاكمات في تاريخ هنغاريا ولا تزال وقائعها محفوظة حتى اليوم؛ جميع معاوني الكونتيسة حكم عليهم بالإعدام، تم شنقهم ثم أحرقت جثثهم؛ لكن الكونتيسة وبسبب مركزها الاجتماعي لم تحاكم .. بل وحتى لم تحضر إلى المحكمة، لكن الإمبراطور أمر بحبسها في قلعتها، حبسوها في غرفة نومها ثم أغلقوا عليها جميع النوافذ والأبواب بالحجارة وكانوا يوصلون الطعام والماء إليها عبر فتحة صغيرة في الجدار.

في عام 1614، أي بعد أربعة أعوام على سجن الكونتيسة في قلعتها، عثر حراسها عليها منكفئة على وجهها في وسط زنزانتها المنزلية وقد فارقت الحياة؛ إليزابيث باثوري .. الكونتيسة الدموية .. كانت في الرابعة والخمسين حين فارقت الحياة.

الكونتيسة الدموية في السينما

في الحقيقة هناك العديد من الأفلام التي تناولت شخصية إليزابيث باثوري، وغالبًا ما جسدتها سينما هوليوود كشخصية ثانوية ضمن أفلام الرعب ومصاصي الدماء. لكن هناك عددًا من الأفلام الأوروبية التي تناولت حياة الكونتيسة كحبكة رئيسية للسيناريو، ربما يكون أشهرها وأحدثها عهدًا هو الفيلم السلوفاكي الناطق بالإنجليزية (Bathory) من إنتاج عام 2008، وكذلك الفيلم الفرنسي - الألماني المشترك (The Countess) من إنتاج عام 2009.

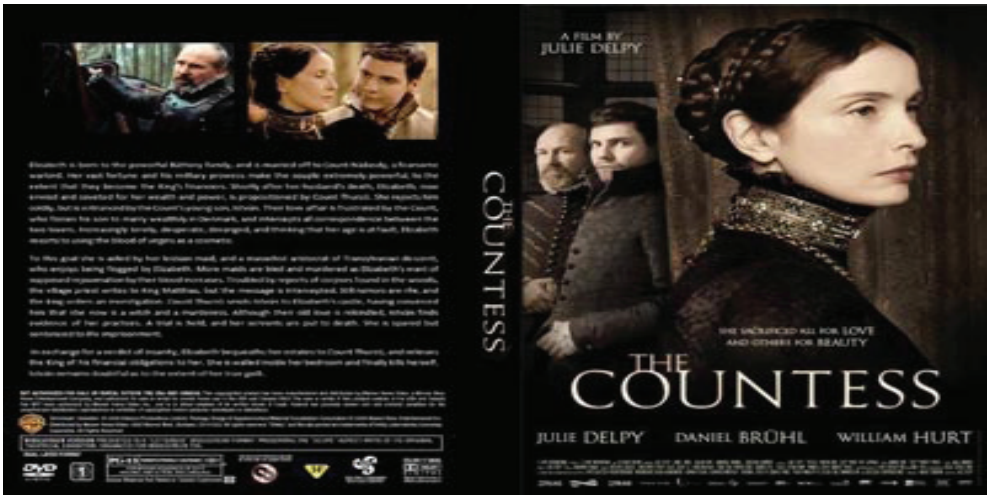

هذه القصة نشرت لأول مرة بالعربية في موقع مملكة الخوف بتاريخ 12 /11 /2002م.

الخلاصة

بعد البحث الذي أجريته على الكونتيسا إليزابيث باثوري وجدت أن كل الكتب ومواقع النت التي تتحدث عنها كانت تردد وتكرر كلًّا من أسماء آنا ودوركا والقزم (فيتشكو) والعمة كارلا، ولكن كل المصادر كانت تأكد على أن الوصيفة أو الخادمة آنا عندما جاءت إلى قلعة إليزابيث وعملت عندها بدأ العصر الذهبي للتعذيب في قلعة الكونتيسا ويبدو أن آنا هي المفضلة عندها وقد تخلصت الكونتيسا من عمتها كارلا بعد ذلك وأرسلتها إلى مكان آخر تعيش فيه بعيدًا عنها وصارت آنا هي المُساعدة للكونتيسا ويدها اليمنى.

صور الأفلام المنتجة عن الحادثة

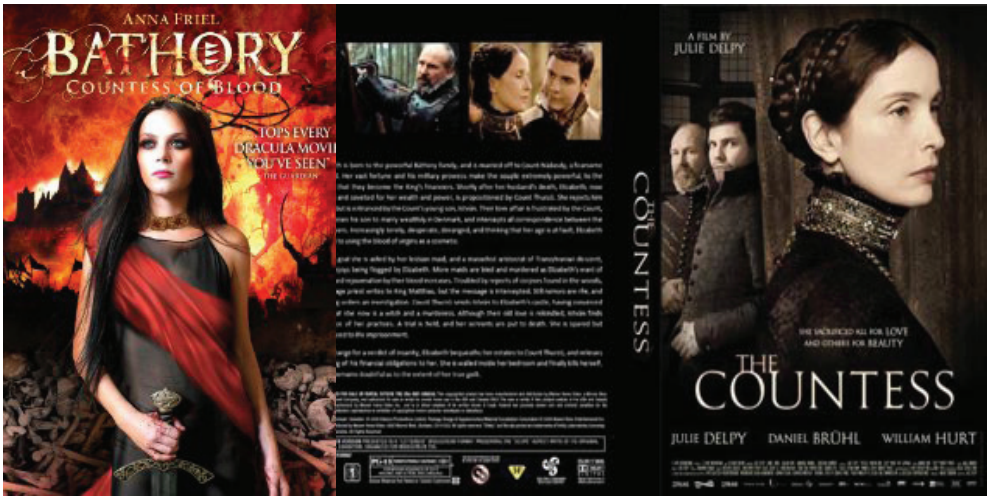

صور شخصية

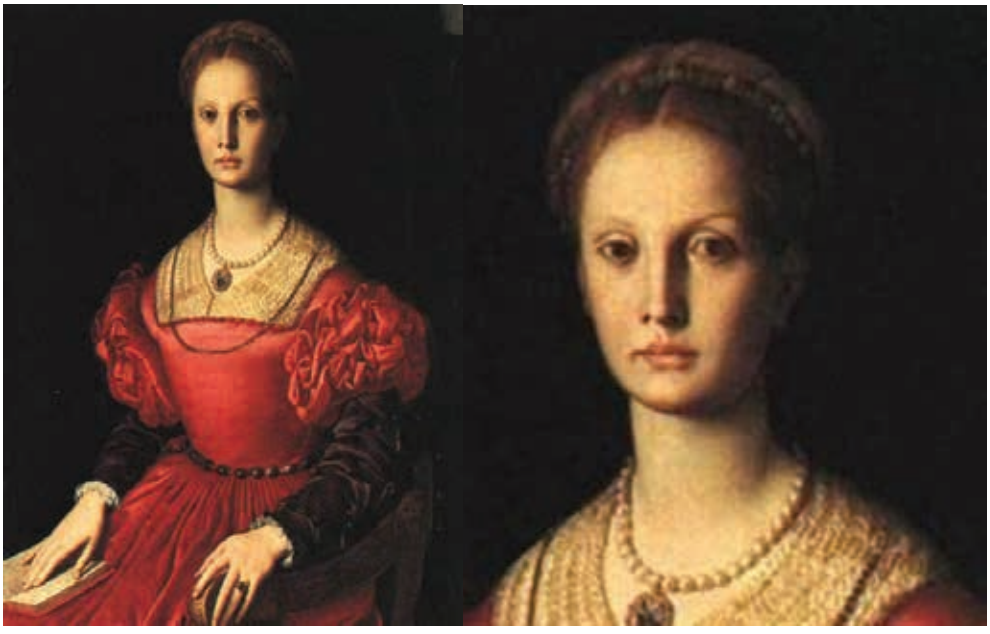

المصادر

1) موقع كابوس، قسم نساء مخيفات، بعنوان: الكونتيسة مصاصة الدماء.

2) https://www.google.com.sa

3) http://forums.roro44.net/467838.html

4) http://www.kabbos.com/index.php?darck=1

الفصل الثاني

إمبراطوريات الخلافة الإسلامية

(الدولة الأموية-الدولة العباسية)

الفصل الثاني

إمبراطوريات الخلافة الإسلامية
(الدولة الأموية-الدولة العباسية)

الدولة الأموية

عبد الملك بن مروان

الحجاج بن يوسف الثقفي

هذا الثنائي اجتمع فيه روح السيادة وعدم محاورة العدو ومد يد الطغيان على البلاد كلها. وعبد الملك هو رجل المال والسلطة، وأما الحجاج فهو رجل الحوار والقتل والتهديد، ولك أهم الأحداث التي حدثت في ذلك الوقت.

الدولة الأموية: عبد الملك بن مروان

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم ولد (سنة 26هـ) بالمدينة وكان في شبابه يعد من فقهاء المدينة وقال الشعبي إنه قد تفوق عليه بالعلم يقصد عبد الملك وأنه أفضل من عرفه من أهل العلم.

الولاية:

تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه.

الحالة السياسية:

الحال في البلاد في عهده كانت مضطربة؛ الحجاز بها عبد الله بن الزبير وقد بايع أهل العراق عبد الله بن الزبير وهذا ما هم به عبد الملك وأراد أن يوحد الدولة الإسلامية وبعد ذلك يبدأ مرحلة الجهاد والتوسع.

أكمل عبد الملك مشوار أبيه مروان بعد وفاته في الحروب مع أعداء الدولة الأموية في كل مكان (العراق والجزيرة العربية وغيرها). بعد حرب في العراق ليست طويلة استطاع عبد الملك أن ينتصر فيها ودخل الكوفة ليعلن لأهل العراق ولاية عليها وأنه خليفة لهم وبايعوه مرغمين على ذلك، وبعد ذلك لم يبق خارج عن سلطان عبد الملك إلى الحجاز. وأراد عبد الملك ضمها لحكمة والتخلص من عبد الله بن الزبير بأية طريقة وقد قيل عن هذه الموقعة الكثير من الأقاويل وسوف أعرض عليكم كل ما قيل في ثلاث حالات:

الحالة الأولى:

وجه عبد الملك وهو في الكوفة جندًا إلى مكة يقوده الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبد الله بن الزبير فسار إليه في جمادى الأولى (سنة 72هـ).

ولما وصل الحجاج إلى مكة حاصر ابن الزبير بها ورماها بالمجانيق ولم يزل الأمر على ذلك حتى اشتد الحال على أهل مكة من الحصار، فتفرقوا على ابن الزبير وخرجوا بالأمان إلى الحجاج وكان حمزة وحبيب أبناه ممن فارق ابن الزبير ولم يتبق مع ابن الزبير إلى القليل

ولا يستطيع هؤلاء القلة فعل أي شيء له ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر فقال أيا أمـاه خذلـني الناس ومن بينهم أولادي وأهلي ولم يبق إلى اليسـير ومن ليس عنده أكثر من صبر سـاعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، و إنني يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشـام أن يمثلوا بي و يصلبوني، فما رأيك: قالت له يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ أي (لا يضير الشاة بعد ذبحها أن تسـلخ)، ثم خرج فقاتل حتى قُتل وذلك في سـنة 73هـ وبعد قتله صلبت جثته ثم أنزلت بأمر من عبد الملك.

مكث ابن الزبير خليفة بالحجاز تسـع سـنين وبمقتل ابن الزبير صفـا الأمر لعبد الملك في جميع البلاد الإسلامية.

الحالة الثانية:

ضرب الكعبة بالمنجنيق وحرقها:

ضرب الكعبة وحرقها:

ضرب الأمويـون الكعبة الشريفة بالمنجنيق مرّتين وأحرقوها خلال حكمهم الجائر، تارةً في زمـن يزيد بـن معاوية وذلك بقيادة الحصين بن النمير، وأخرى في زمن عبد الملك بن مروان وذلك بقيادة الحجّاج بن يوسف الثقفي.

في زمن يزيد بن معاوية:

حكـم يزيـد بـن معاوية ثلاث سـنوات بعد هـلاك أبيه، ففي السـنة الأُولى قتـل الإمام الحسـين(عليه السلام) وأصحابه، وفي السـنة الثانية هجم على مدينة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسـبى أهلها، وفي السـنة الثالثة وجّه جيشًا بقيادة الحصين بن النمير، وذلك في الثالث من ربيـع الأوّل 64هـ؛ لقتال عبد الله بن الزبـير الذي تحصّن في الكعبة المشرّفة، فقام جيش يزيد بقيادة الحصين بن النمير بمحاصرة الكعبة.

وبعـد أن اسـتعصى على الجيش الأموي إخضـاع ابن الزبير، وضع المحـاصرون المنجنيق ورمي الكعبة بالنار فاحترقت، ثمّ بقوا محاصرين للبيت الحرام عدّة شـهور حتّى وصلهم خبر هلاك يزيد.

فانفكـوا عنها راجعين إلى الشـام مغلوبين، وتفرّقوا في أثنـاء رجوعهم لاضطراب أمرهم، فلاحقهـم أهل مكّة والمدينـة حتّى أخذوا أربعمائة منهم إلى الحـرّة بالمدينة، وأمر مصعب بن الزبير بقتلهم، ثمّ بايع أهل المدينة أخاه عبد الله بن الزبير بالخلافة.

في زمن عبد الملك بن مروان:

في عـام 73هـ توجّه الحجّاج بن يوسـف الثقفي إلى الحجاز في زمـن عبد الملك بن مروان، ونزل الطائف، وأخذ يرسل بعض جنوده لقتال عبد الله بن الزبير، فدارت بينهما عدّة اشتباكات كانـت نتيجتها في صالح الحجّاج، ثمّ تقدّم وضرب حصارًا على مكّة، فأصاب أهل مكّة مجاعة كبـيرة، ونصـب المنجنيق على جبل أبي قيـس، وبدأ بضرب الكعبة، فلمّا أتى موسـم الحجّ طلب عبد الله بن عمر من الحجّاج أن يكفّ عن ضرب الكعبة بالمنجنيق؛ لأنّ الناس قد امتنعوا عن الطـواف فامتثل الحجّاج، وبعد الفراغ من طواف الفريضة عاود الحجّاج الضرب، وتشـدّد في حصـار ابن الزبير حتّى انصرف عنه رجالـه، ولكن ابن الزبير لم يتراجع، فخرج لقتال جيش الحجّاج فقُتل، وسلمت الكعبة بموته من الضرب بالمنجنيق.

الحالة الثالثة:

في 73هـ قرر عبـد الملك بن مروان التخلص من عبد الله بن الزبير، فجهز جيشًـا ضخمًا لمنازلة ابن الزبير في مكة، وأمر عليه الحجاج بن يوسـف، فخرج بجيشه إلى الطائف، وانتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش، فتوالت الجيوش إليه حتى تقوى تمامًا، فسار إلى مكة وحاصر ابـن الزبير فيها، وهنا يزعم البعض بأن الحجاج قد ضرب الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها، وعلى هذا رد عليها شـيخ الإسـلام، فيقول في الجواب الصحيح (5|264): «والحجاج بن يوسف كان معظـمًا للكعبة لم يرمهـا بمنجنيق». ويقـول في الرد عـلى المنطقيـين (1|502): «والحجاج بن يوسف لم يكن عدوًا لها ولا أراد هدمها ولا أذاها بوجه من الوجوه ولا رماها بمنجنيق أصلًا». أمـا حكاية المنجنيق فبها شـك من أصلها. فالحجاج قد تقدم جيشـه واحتل الأخشـبين (جبل أبي قبيـس الذي عليه القصر الملكي اليوم، وجبل قعيقان)، وهما مطلان على المسـجد الحرام من المشرق والمغرب ويقعان على مسافة قريبة جدًّا منه. فما الحاجة للمنجنيق؟ والمسجد الحرام مـن طابق واحد غير مرتفع، ومن السـهل بمكان على جيش مـن آلاف أن يعلوه ويدخله، وهو

ليس مبنيًّا أصلًا ليكون حصنًا. وهدمه لا يحتاج أكثر من بضعة أيام. فلم طال الحصار إلى عدة شهور؟ و إن دل هذا على شيء، فيدل على حرص الحجاج على الكعبة المشرفة.

قتل في هذه الحرب ابن الزبير، فتفرق عنه أصحابه، ووقعت فيهم الهزيمة.

أعلن الحجاج الأمان لمن سلم من أصحاب ابن الزبير، وأمنه هو نفسه، غير أن عبد الله ابن الزبير لم يقبل أمان الحجاج، وقاتل رغم تفرق أصحابه عنه الذين طمعوا في أمان الحجاج فقتل، وكان لابن الزبير اثنتان وسبعون سنة، وولايته بعد أن انتصر الحجاج في حربه على ابن الزبير، أقره عبد الملك بن مروان على ولاية مكة وأهل مكة، وكان و إياهم وأهل المدينة على خلاف كبير، في 75 هـ حج عبد الملك بن مروان، وخطب على منبر النبي، فعزل الحجاج عن الحجاز لكثرة الشكايات فيه، وأقره على العراق.

بعد أن انتصر الحجاج في حربه على ابن الزبير، أقره عبد الملك بن مروان على ولاية مكة وأهل مكة، وكان و إياهم وأهل المدينة على خلاف كبير، في 75 هـ حج عبد الملك بن مروان، وخطب على منبر النبي، فعزل الحجاج عن الحجاز لكثرة الشكايات فيه، وأقره على العراق.

ولاية الحجاج على العراق:

دامت ولاية الحجاج على العراق عشرين عامًا، وفيها مات. وكانت العراق عراقين، عراق العرب وعراق العجم، فنزل الحجاج بالكوفة، وكان قد أرسل من أمر الناس بالاجتماع في المسجد، ثم دخل المسجد ملثمًا بعمامة حمراء، واعتلى المنبر فجلس وأصبعه على فمه ناظرًا إلى المجتمعين في المسجد فلما ضجوا من سكوته خلع عمامته فجأة وقال خطبته المشهورة التي بدأها بقول:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وبين في خطبته سياسته الشديدة، وبين فيها شخصيته، كما ألقى بها الرعب في قلوب أهل العراق. ومن العراق حكم الحجاج الجزيرة العربية، فكانت اليمن والبحرين والحجاز، وكذلك خراسان من المشرق تتبعه، فقاتل الخوارج، والثائرين على الدولة الأموية في معارك كثيرة، فكانت له الغلبة عليهم في كل الحروب، وقام ببناء واسط، فجعلها عاصمته.

وفاة الحجاج:

أصيب الحجاج في آخر عمره بما يظهر أنه سرطان المعدة، وتوفي بمدينة واسط في العشر الأخير من رمضان 95هـ (714م)، وقيل في ليلة القدر، ولعله علامة على حسن الخاتمة قال محمد ابن المنكدر: كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: «اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل» وروى الغساني (لم أعرفه) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على: حبه القرآن و إعطائه أهله عليه، وقوله حين حضرته الوفاة: «اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل»» وقال الأصمعي: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول: أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ؟ وَيْحَهُمُما عِلْمُهُمْ بكريم العَفْوِ غَفَّارِ؟ ترك الحجاج وصيته، وفيها قال: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحجاج ابن يوسف: أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث... إلخ.

دُفن في قبر غير معروف المحلة في واسط، فتفجع عليه الوليد، وجاء إليه الناس من كل الأمصار يعزونه في موته، وكان يقول: كان أبي يقول إن الحجاج جلدة ما بين عينيه، أما أنا فأقول إنه جلدة وجهي كله.

معالم من الدولة الأموية

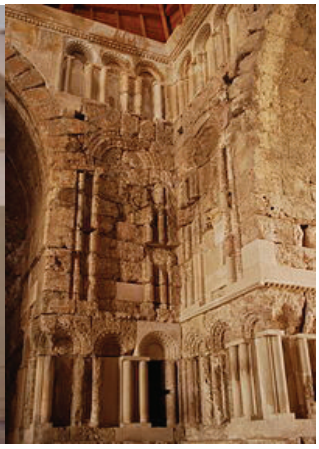

صور المنجنيق

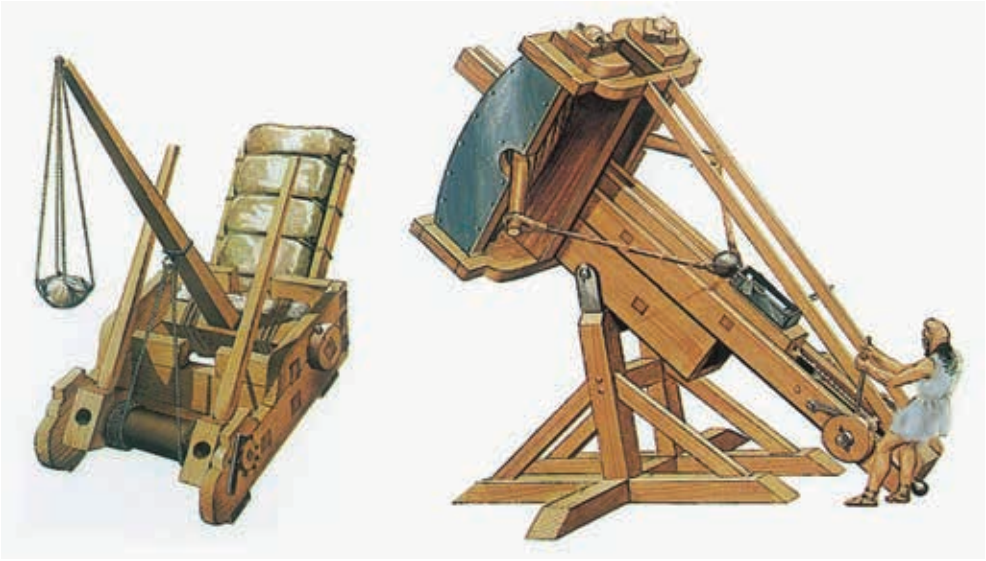

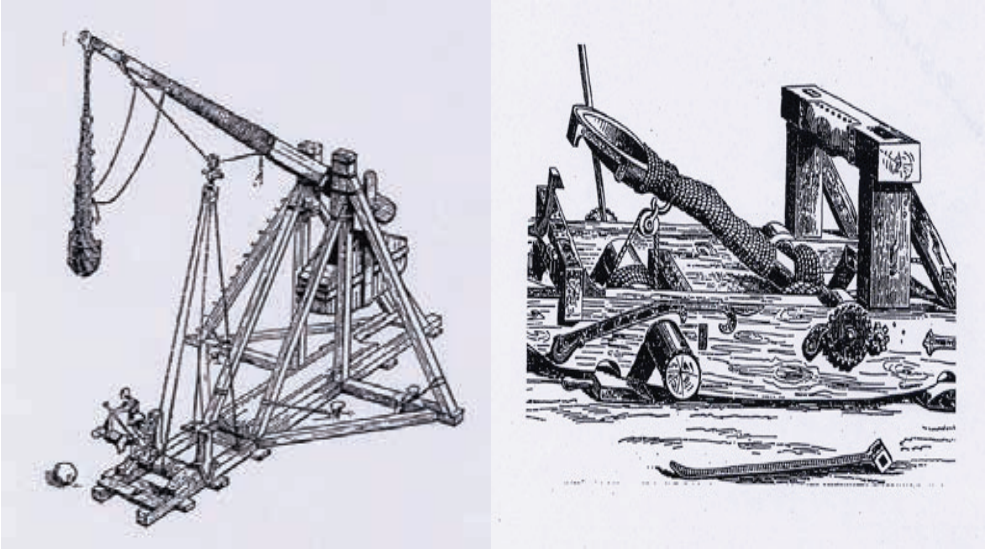

الحادثة في عالم الفن

تم تصوير مسلسلين عن هذه الحادثة هما:

1) مسلسل الحجاج (مسلسل سوري)، ويتناول حياة الحجاج منذ خروجه من ثقيف أهله في الطائف وإلى أن توفي.

عرض تليفزيون قطر المنتج للمسلسل، وقنوات أخرى خلال شهر رمضان المبارك، مسلسل الحجاج الذي طرح رصدًا وثائقيًّا لحياة الحجاج بن يوسف الثقفي منذ كان معلمًا للقرآن في ثقيف إلى أن ولاّه عبد الملك بن مروان، أميرًا لجيشه الذي احتل مكة، والذي واجه بعدئذ الخوارج في العراق وخراسان وغيرهما من الدول والممالك المتاخمة للدولة الأموية.

2) مسلسل فارس بني مروان(مسلسل سوري)، تناول المسلسل السيرة الذاتية للفارس والأديب (مسلمة بن عبد الملك بن مروان) الملقب بفارس بني مروان الذي حارب الروم وانتصر عليهم.

يتناول المسلسل السيرة الذاتية للفارس والأديب (مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم) والملقب بفارس بني مروان، والذي قاد معارك ضارية ضد الروم وانتصر عليهم، وكان مجلسه يضم شعراء وعلماء وفقهاء.

مكة في العصر الحديث

آخر ملوك العرب والمسلمين الذي دخل مكة حاكمًا لها، وذلك بعد توحيد نجد والحجاز تحت حكمه سنة 1932م، جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (طيب الله ثراه ورحمه رحمة واسعة).

صور منوعة لمكة المكرمة أقدس الأماكن في العالم للمسلمين

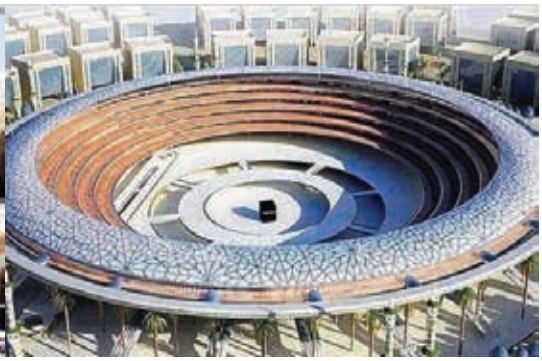

المصادر والمراجع

1) محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، طبعة 2005م.

2) https://www.google.com.sa/

3) http://alameria.montadamoslim.com/t987-topic

4) http://ara.al-shia.org/others/?mod=monasebat&id=378

5) https://ar.wikipedia.org/wiki/

6) http://www.elcinema.com/work/wk1180440

7) https://ar.wikipedia.org/wiki/

8) https://ar.wikipedia.org/wiki/

كتبت باختصار وبتصرف من المصدر.

الدولة العباسية

أبو العباس السفاح

أبو مسلم الخراساني

هذا الثنائي هو أشد بطشًا ودمارًا وقتلًا من ثنائي الدولة الأموية وكم من شبه بين قيام الدولتين الأموية والعباسية. والسفاح وأبو مسلم يتشابهان في كثير من الصفات القاسية وفعلا ما فعلا وكان لهما ما أرادا وهو قيام دولة بني العباس وسقوط الدولة الأموية.

أبو العباس السفاح

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ولد سنة (104هـ) بالحميمة (الأردن) وتوفي في (13ذي الحجة 136هـ)، وذلك بعد أن أصيب بالجدري.

ولايته:

بعد موت أخيه إبراهيم ذهب بنو العباس إلى الكوفة وسكنوها وفيها بويع بالخلافة سنة 132هـ (30 أكتوبر سنة 749م)، وخلافته استمرت أربع سنوات وتسعة أشهر.

الأوضاع السياسية:

اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم بالفرس الذين كانوا ناقمين على بني أمية، ومع مرور الزمن صارت بغداد عاصمة الدولة العباسية وكان في تاريخ الدولة العباسية فتن ودسائس ومؤامرات عظيمة جدًّا، وخاصة في فترة أبي جعفر المنصور، وكان لها مراحل تطور ورقي وازدهار وتقدم علمي وأدبي وغيرها كثير. وانتهى الحكم العباسي في بغداد سنة 1258م وذلك على يد هولاكو خان التتاري، وبعد ذلك أُقيمت الدولة من جديد سنة 1261م وكان منصب الخليفة منصب فخريًّا فقط، والحكام هم المماليك المصريون (حكام الدولة) واستمرت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة 1519م وسقطت على يد العثمانيين.

نهر الزاب الكبير اليوم في شمال العراق، وقد وقعت قُربه معركة الزاب الكبرى التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132 هـ.

الحروب والنزاعات:

أبو العباس السفاح أنهى ملك بني أمية في حرب سميت بمعركة الزاب الكبرى في سنة 132هـ/750م قرب نهر الزاب الأكبر في شمال العراق وقاد جيش بني العباس عبد الله بن علي ابن عبد الله وهو عم أبو العباس السفاح وواجهه الخليفة الأموي في هذه المعركة وهو مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية، والتقى الجيشان وانهزم جيش مروان وفر مروان إلى مصر، وقتل في مدينة أبي صير (بوصير) في الجيزة بمصر فكان آخر خلفاء بني أمية في الشام، وكان يعرف بمروان الحمار لجرأته في الحروب، وبعدها عاث العباسيون في بلاد الشام دمارًا وقتلًا واغتصابًا للأموال وسبيًّا بلا هوادة على بني أمية وغيرهم.

وبعد سيطرتهم على الشام دخلوا في حروب في أماكن أخرى متفرقة، وكان أكبر الرجال في عهد أبي العباس السفاح الذين كان لهم سلطات ونفوذ وشدة عزيمة هم ثلاث رجال:

1- أبو مسلم الخرساني بالمشرق.

2- أبو جعفر المنصور بالجزيرة وأرمينية والعراق.

3- عبد الله بن علي بن عبد الله بالشام ومصر.

فهؤلاء الثلاثة كانوا أساطين دولته وكان على يدهم يجري كل خير وشر، وبسببهم اكتسب لقب السفاح.

لقب السفاح:

ولقد لقب نفسه بالسفاح حينما ركب منبر الكوفة قائلًا: «أنا سفاح بني أمية». وقد قضي في عهده على معظم بني أمية، سواءً على يده أو على يد عمِّه سفاح دمشق عبد الله بن علي. عهد بولاية عهده لأخيه أبي جعفر عبد الله الثاني. ولكنه اغتيل على يد أبي جعفر المنصور. وقد لقب بالسفاح؛ لأنه وبعد انهيار الخلافة الأموية ومبايعته كأول خليفة عباسي دعا كل أمراء بني أمية إلى قصره وأعطاهم الأمان ثم ذبحهم فلقب بالسفاح ولم ينجُ منه سوى قلة أشهرهم عبد الرحمن الداخل الذي هرب إلى المغرب ومنها إلى الأندلس.

معالم الدولة العباسية

أبو مسلم الخرساني

أبو مسلم يتلذذ بقطع الرؤوس

أبو مسلم هو الرجل الأول لدى أبي العباس السفاح، وكان يعرف بجرأته وشجاعته وقوة بأسه؛ ولذلك قدمه أبو العباس على غيره من رجال الدولة وهو اليد اليمنى لأبي العباس السفاح؛ لأن بني العباس كانوا يخشونه لكي لا ينقلب عليهم، فقد كان في خراسان مثل الملك عليها وهو الذي انتصر على أعداء العباسيين في كثير من الحروب والنزاعات وكان له دور عظيم في معركة الزاب الكبرى ولهذه الأسباب قربه السفاح منه وكان عنده مثل الرجل الثاني في الدولة العباسية وكثيرًا ما كان يشبه بالحجاج بن يوسف الثقفي، وسنوضح لكم الآن من هو أبو مسلم وكيف كانت نهايته.

أبو مسلم الخراساني سفاح المشرق صاحب الرايات السود وأكبر طاغية في التاريخ الإسلامي:

يعتقد الكثيرون أن الحجاج بن يوسف الثقفي هو أشهر وأكبر طاغية، وهذا فيه بعض الحقيقة والكثير من الروايات الكاذبة التي دسها أعداء الدولة الأموية وخاصة الروافض.

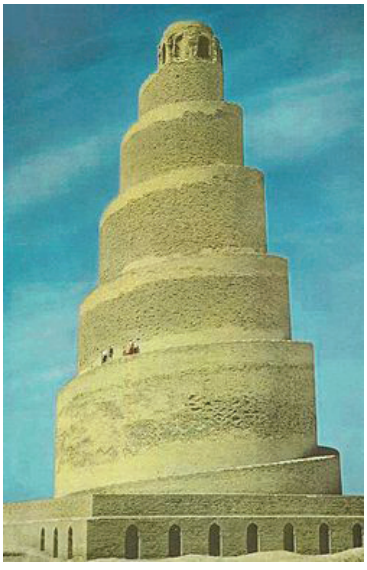

أما أبو مسلم الخراساني هذا فكما قال الإمام الذهبي رحمه الله: كان أبو مسلم بلاء عظيما على عرب خراسان فإنه أبادهم بحد السيف.

قال الذهبي: كان أبو مسلم سفاكًا للدماء يزيد على الحجاج في ذلك، وهو أول مَن سن للدولة لبس السواد وكان ذا شأن عجيب ونبأ غريب من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام و يعود بكتائب أمثال الجبال و يقلب دولة و يقيم دولة أخرى!

وصاحب الدعوة العباسية وهازم جيوش الدولة الأموية والقائم بإنشاء الدولة العباسية.

كان غلامًا للسراجين في بغداد فرآه الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس والد المنصور والسفاح فأعجب به وضمه إلى الدعوة لبني العباس حتى أصبح كبير الدعاة في خراسان وما والاها وما أن استتب الأمر لبني العباس حتى سار هذا السفاح من أعظم القتلة وكان سيفًا مصلتًا على العرب خاصة.

وقال أبو حامد الداودي: دخل رجل وعلى رأس أبي مسلم عمامة سوداء. فقال ما هذا؟ قال: اسكت حدثني أبو الزبير عن جابر أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء يا غلام اضرب عنقه!

قال إبراهيم الصائغ: لما رأيت العرب وصنيعها خفت ألا يكون لله فيهم حاجة فلما سلط الله عليهم أبا مسلم رجوت أن تكون لله فيهم حاجة .

فهذا كلام من عاصروه من العلماء وهناك أهوال لا يتسع المقام لذكرها من تجبر أبي مسلم على الناس وخاصة العرب، وكان يري نفسه حفيد كسري ولا يخضع لأحد ودخل أبو مسلم على أبي العباس السفاح فسلم عليه وعنده أخوه أبو جعفر فقال له يا أبا مسلم هذا أبو جعفر فقال يا أمير المؤمنين هذا موضع لا يؤدى فيه إلا حقك.

فسرها المنصور في نفسه وتعدد تعالي أبو مسلم على أبي جعفر المنصور في أكثر من موضع حتى تملك الغضب من المنصور وأقسم على قتله. وقد رأى أبو جعفر عظمة أبي مسلم وسفكه للدماء وقال للسفاح لست بخليفة إن أبقيت أبا مسلم قال وكيف؟ قال ما يصنع إلا ما يريد. قال: فاسكت واكتمها.

ودارت حوادث طوال حتى تولى المنصور الخلافة وهو عازم على قتل أبي مسلم ودبر له حتى أتى به أمامه في قصره وكانت هذه الواقعة.

قال له المنصور: أخبرني عن سيفين أصبتهما في متاع عبد اللـه بن علي فقال هذا أحدهما قال أرنيه فانتضاه، فناوله فهزه أبو جعفر ثم وضعه تحت مفرشه وأقبل عليه يعاتبه.

وقال له ألسـت الكاتب إليّ تبدأ بنفسـك؟ والكاتب إلي تخطب أمينة بنت علي عمتي؟ وتزعم أنك ابن سـليط بن عبد الله بن عباس؟

وأيضًـا فما دعـاك إلى قتل سـليمان بن كثير مـع أثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا؟

قـال عصاني وأراد الخلاف علي فقتلته. قال وأنت قد خالفـت علي قتلني الله إن لم أقتلك. وضربه بعمود، ثم وثبوا عليه، وذلك لخمس بقت من شعبان.

ويقال: إن المنصور لما سبه، انكب على يده يقبلها ويعتذر .

وقيل: أول ما ضربه ابن نهيك لم يصنع أكثر من قطع حمائل سيفه، فصاح: يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك، قال لا أبقاني الله إذا وأي عدو أعدى لي منك؟!

وقال أبو جعفر مقولته الشهيرة الآن أصبح الأمر خالصًا لبني العباس من دون الناس.

وقال الذهبي وقد كان بعض الزنادقة والطغام من التناسـخية اعتقدوا أن الباري سـبحانه وتعالى حل في أبي مسـلم الخراساني المقتول عندما رأوا من تجبره واستيلائه على الممالك وسفكه للدماء. فأخبار هذا الطاغية يطول شرحها.

رأي آخر في مقتل أبو مسلم:

يورد المسـعودي قصة خداع أبي مسـلم ثم اغتياله فيقول:

بعث المنصور إلى أبي مسـلم الخراسـاني لمذاكرتـه. فتقدّم أبو مسـلم الخراسـاني إلى

مـضرب المنصور. وكان المنصور قد أخبر صاحب حرسـه وأمرهـم أن يقوموا خلف السرير الذي وراء أبي مسلم الخراساني. وأمرهم ألاّ يظهروا إذا عاتبه، فإذا صفّق بيد على يد فليظهروا وليضربوا عنقه وما أدركوا منه بسيوفهم.

جلس المنصور فقام أبو مسـلم من موضعه ودخل فسـلّم عليه فردّ عليه وأذن له بالجلوس، وحادثه ساعة، ثم أقبل يعاتبه.

فقال أبو مسلم: ليس يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني.

فقال له المنصور: يا ابن الخبيثة.. إنما فعلت هذا بجدنا وحظوظنا .. ألسـت الكاتب الذي تبدأ بنفسك وتزعم بأنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس؟

فأخذ أبو مسلم يعتذر إليه، فقال له المنصور: قتلتني إن لم أقتلك ...

ثم صفّق المنصور بإحدى يديه على الأخرى فخرج إليه القوم واعتورته السيوف فتخلّطت أجزاؤه.. وأتوا عليه والمنصور يصيح: اضربوا قطع الله أيديكم ...

وكان أبـو جعفر المنصـور قد أعدّ صرر المال. فما أن فرغ من قتل أبي مسـلم حتى خرج الخزانون بالمال ونثروه على الخراسانيين، فانشغل هؤلاء بالمال ولم يسألوا عن أبي مسلم.

وكان أبو جعفر يريد إقصاء أبي مسلم الخراساني عن خراسان حيث أهله، وأراد أن يعهد له بولاية مصر والشام. ونسي أبو جعفر المنصور أن أبا مسلم الخراساني هو من قضى على ثورة عمـه عبـد الله بن علي الذي طلب الخلافة لنفسـه، والذي كاد يطيح بخلافـة المنصور لولا أبي مسلم الخراساني الذي أسره وجاء به إلى المنصور فقتله.

اجتثاث بني أمية وقتلهم:

بعد مبايعة السـفاح بالخلافة في الكوفة كما أسـلفنا تفرغ بنو أمية في البلاد وبعضهم أراد مبايعـة بني العباس، ولكن كره العباسـيين كان لهم كبيرًا جـدًّا، وقتل معظم بني أمية في البداية وقد نبش العباسـيون قبور بني أمية؛ فقد نبش قبر كل من معاوية بن أبي سفيان وقبر ابنه يزيد وقـبر عبـد الملك بن مروان وفي أثناء سـفك دماء بني أمية قال السـفاح لأبي مسـلم اقتل بالظنة ويقصد بذلك لمجرد الشك ولو قليل فقتل بني أمية ومن يتبعهم وفعل ذلك أبو مسلم وقتل معظم

بني أمية ولم يستطع الفرار منهم إلا القليل ومن فر منهم هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، المعروف بلقب (صقر قريش، وعبد الرحمن الداخل) وكان هذا أبرز الفارين منهم.

أبو العباس السفاح والشاعر سديف:

ويروى عن السفاح الذي دخل عليه في مجلسه ذات يوم حاجبه، وكان معه جماعة من بني أمية.

قال الحاجب: بالباب رجل حجازي أسود، ملثم، يستأذن في الدخول عليك: ولا يريد أن يخبر باسمه، ويقسم بأغلظ الأيمان أنه لن ينزل اللثام عن وجهه إلا حين يراك.

قال السفاح: هذا مولاي سديف، إإذن له بالدخول:

فلما دخل سديف ووجد السفاح محاطًا بجماعة من بني أمية جر اللثام عن وجهه وتلبسه شيطان الشعر فأنشد قائلًا:

أصبح الملك ثابت الأساس

بالبهاليل من بني العباس

بالصور المقمين قديما

والرؤوس القماقم الرؤاس

يا أمير المطهرين من الذم

ويا رأس منتهى كالراس

لا تقبلن عبد رقلة وغراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله

بدار الهوان والإتعاس

خوفهم أو ظهر التودد منهم

وبهم منكمو كحز المواسى..

أقصهم أيها الخليفة واحسم

عنك بالسيف شأفة الأرجاس

واذكرن مصرع الحسين وزيدا

وقتيلا بجانب المهراس

والإمام الذي بحران أمس

رهن قبر في غربة وتناسي

«والإمام في البيت الأخير هو إبراهيم الإمام».

وكان سديف يعطي إشارة للسفاح الذي ارتعد ارتعادة شديدة: وثار الدم في عروقه والتفت إثر سليمان بن عبد الملك الذي كان واحدًا ممن كانوا في المجلس: وقال لأصحابه: قتلنا والله العبد.

وتطاير الشرر من عيني السفاح وهو ينظر إلى جماعة بني أمية في مجلسه نظرة الشر المستطير قائلا لهم:

- أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا، وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا؟! خذوهم، خذوهم.!!!

ونفذ حرس خراسان الذي كان يحيط بالسفاح الأمر فضربوهم ضربًا مبرحًا: أثخن أعضاءهم وجوارحهم حتى لفظوا أنفاسهم.

ألا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الذي استجار بداود بن على فأجره فنجا! ويضيف المؤرخون الرواة أن السفاح أمر بالطعام بعد أن نفذ الحراس أمره من كان في مجلسه من بني أمية:

وآثر كذلك أن يفرش بساطًا علي جثث القتلى، وجلس فوق البساط يتناول طعامه: وقال بعد أن فرغ من تناول طعامه:

- ما أعلمني أكلت أكلة قط أهنأ إلى نفسي ولا أطيب من هذه الأكلة:

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الحرس بجر الجثث من أرجلها و إلقائها في الطريق العام ليلعنها الناس.

وتجمعن الكلاب والحيوانات الضالة على رائحة الجثث فنهشت لحومها وجرتها من أرجلها: ناشبة مخالبها وأسنانها فيها إلى أن تصاعد العفن منها: فحفرت لها بئر ودفنت فيها: وواصل سديف لعبته الخسيسة، فكان(يصطاد) السفاح أغواءه: وتحريضًا في وجود بني أمية في مجلسه: ليصدر أوامره ضدهم قتلًا وتمثيلًا فيثيره و يستثيره: و يدفع مزاجيته الدموية إلى أقصى درجات التهيج والتهييج.

وكان سديف النفاث النفاخ يستخدم نفس الأسلوب لتهيئة شهوة الدم لدى السفاح بالشعر:

دخل سديف على السفاح مرة ثانية وفي مجلسه رهط من بني أمية: فدغدغ مشاعر السفاح رياء ومداهنة:

يا ابن عم النبي أنت ضياء

استبنابك اليقين الجليا

جرد السيف وارفع العفو حتى

لا ترى فوق ظهرها أمويًّا

لا يغرنك ما ترى من رجال

إن تحت الضلع داءً قويًّا

بطن البعض في القديم فأضحى

ثاويًا في قلوبهم مطويًا

فقال له السفاح:

- يا سديف، خلق الإنسان من عجل.

فأجاب سديف:

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا

- فلن تبين وللآباء أنباء

وفعلت الجرعة فعلها في مزاج ونفسية السفاح فأمر بقتل الموجودين في المجلس من بني أمية.

وفعل سديف الفعلة نفسها للمرة الثالثة وهو يدخل على السفاح وفي مجلسه بعض بني أمية: ودس الجرعة في خلايا وأعصاب السفاح:

كيف بالعفو عنهمو وقديما

قتلوكم وهتكوا الحرمات

أين زيد وأين يحيي بن يزيد

يا لها من مصيبة وتراث

والإمام الذي أصيب بحران

إمام الهدى ورأس الثقات

قتلوا آل حمد لا عفا الذنب

لمروان غافر السيئات

الحادثة في عالم الفن العربي

تم تصوير مسلسلين يرويان الأحداث التي قرأتها:

الأول: مسلسل صقر قريش، تأليف وليد سيف و إخراج حاتم علي أُنتج في عام 2002م ويحكي المسلسل سيرة عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس.

الثاني: مسلسل: أبو جعفر المنصور من الدعوة إلى الدولة، وهو إنتاج عربي مشترك، من إخراج شوقي الماجري وأُنتج عام 2008م.

ويروي المسلسل نهاية دولة بني أمية وقيام دولة العباسيين حتى عهد مؤسسها الفعلي أبي جعفر المنصور بطل القصة في المسلسل.

المصادر

1) محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، طبعة2005م.

2) خالد عبد الإله، أشهر السفاحين في التاريخ، مركز الشرق، الطبعة الأولى 2013م.

3) https://www.google.com.sa

4) https://ar.wikipedia.org/wiki

5) http://www.marefa.org/

6) http://majles.alukah.net/t111133

7) http://khayma.com/sohel/tareekh/tareekh23.htm

كتبت من المصادر باختصار وبتصرف.

الفصل الثالث

الخناقون

(السلطنة العثمانية - مصر - إسكتلندا)

القتل بـدون دم وهو مثـل القتل بدم
لأن الهـدف واحـد وهو إزهـاق الروح

الفصل الثالث

الخناقون

(السلطنة العثمانية - مصر - إسكتلندا)

الدولة العثمانية

السلطانة صفية

السلطان محمد الثالث

يعد هذا الثنائي من طراز خاص؛ لأنه قتل لأجل السلطة والمُلْك تناولت هذه القصة كثيرًا في الإعلام المقروء (الصحف والمجلات والكتب والنت) وعرفت بعنوان مميز وهو السلطانة صفية ومذبحة أبناء السلاطين والبعض يعتقد أن ابنها ليس مشاركًا معها بالقتل وأنا أعتبره مشاركًا معها؛ لأنه بعد أن عرف جريمة أمه لم يقم عليها الحد وهو مسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) و إليك القصة كاملة.

صفية وليد سلطان أو السلطانة الأم صفية (بالعثمانية: صفية سلطان (السلطانة صفية)، واسم الولادة: صوفيا بيلوجى بافو، ولدت في 1550 وتوفيت في 10 نوفمبر 1605) وهى زوجة السلطان العثماني مراد الثالث، ووالدة السلطان محمد الثالث.

ولدت صوفيا بيلوجى بافو عام 1550 في البندقية. وهى كانت الابنة الوحيدة لعائلة غنية (والدها كان كوفو يوناردو بافو حاكم البندقية) وطبقا لذلك فإنها قد تلقت تعليمًا جيدًا للغاية، ومرت بأسمى مراحل التعليم. وقد خطفها القراصنة العثمانيون في أثناء قيامها بالسياحة بالجمل في البحر الأبيض المتوسط عندما كانت في عمر الثانية عشرة. وبعدها بعام وجدت نفسها تباع في سوق الرقيق في أسطنبول فجاءت حينئذ السلطانة نور، والدة السلطان مراد الثالث وأخذتها. وكانت والدة ولى العهد نور بانو تريد أن تجعل ابنها الأمير مراد الثالث أمير مانيسا أن يدير البلاد بطرق جدية وشخصية محكمة. وبمجرد رؤية السلطانة لصوفيا قررت أن تزوجها لابنها مراد ودفعت الكثير من ثروتها لشرائها. وقد أقامت صوفيا بالحرملك لمدة عامين وتغير فيها اسمها من صوفيا إلى اسم أشد رقة وصفاء وجمال ألا وهو صفية. وعندما كانت صفية في سن الخامسة عشرة وذهبت إلى الأمير مراد الثالث بشعرها الأشقر، وعيونها الكبيرة، طولها، بشرتها البيضاء كل هذا جعله يعشقها من أول نظرة.

نساء السلاطين أجمل من صفيه وهذا ما أزعجها

انفردت السلطانة صفية بالنفوذ في حرملك السلطان مراد الثالث، ووضعت قواعد صارمة لتأكيد نفوذها على الجميع، وفرضت شروطها لدخول الجواري إلى جناح السلطان، ولم تعد هناك شاردة أو واردة تتم في الحرملك إلا بإذنها وعلمها وترتيبها، وشهدت السنوات الأخيرة من عمر السلطان مراد تزايدًا لنفوذ صفية خاتون التي بدأت تدس أنفها في شؤون السياسة

مستغلة في ذلك عددا من الوزراء ضعاف الشخصية، فكانت وبحق عنوانًا لعصر أدارت فيه نساء الحرملك الدولة العثمانية من خلال وزراء الديوان.

كان غياب شخصية قوية كالصدر الأعظم محمد باشا صوقوللو، أثره في انتشار عوامل الضعف في كيان الدولة العثمانية التي كانت وقتها تعد القوى الأولى على مستوى المعمورة، فالوزراء الضعاف وسياسة تغييرهم بسرعة ساعدت على انتشار مظاهر السخط بين فرق الجيش العثماني، التي لم تعد ترى السلطان يقودها كما كان يحدث أيام السلطان سليمان القانوني، وهي ظروف مكّنت صفية خاتون من أن توجه السياسة العثمانية كيف تشاء، ويقال إنها عملت على إدارة سياسة الدولة العثمانية نحو مزيد من التقارب مع جمهورية البندقية، فهي لم تنس يومًا أصولها الإيطالية، وعملت دائما على تدعيم أواصر العلاقة بين إسطنبول والبندقية، لصالح الأخيرة، وبطبيعة الحال لم يعارض السلطان مراد الثالث تحركات جاريته المفضلة وتطلعاتها، الذي سلم القيادة إلى أربع نساء هن والدته السلطانة الأم نوربانو، وأخته آسمات خاتون، وأم ولي العهد صفية خاتون، وأخيرًا جافيد خاتون المسؤولة عن إدارة الحرملك.

خدم السلطانه

انزواء مراد الثالث، مكّن صفية خاتون من أن تمد نفوذها سريعًا في جنبات القصر العثماني، بعد وفاة السلطانة الأم نوربانو، وإقصاء آسمات سلطان، وتحجيم نفوذ الكاياجافيد خاتون، وأن تفيض سلطتها من الحرملك على بقية أركان الدولة العثمانية، وأكبر دليل على دور صفية خاتون في إدارة السياسة العليا للدولة العثمانية زمن السلطان مراد الثالث، يأتي لنا من إنكلترا البعيدة، ففي غرب أوروبا أدت سياسات الدولة العثمانية وتحركاتها النشطة إلى تغيير موازين القوى هناك، ففي موقعة وادي المخازن 1578م أجهزت القوات العثمانية المتحالفة مع قوات مغربية على جيوش البرتغال المتحالفة مع قوات مغربية مناوئة للوجود التركي، وكانت من النتائج المباشرة لهذه المعركة مقتل ملك البرتغال سبستيان وانهيار إمبراطورية البرتغال البحرية، وهو ما استغله ملك إسبانيا فيليب الثاني باحتلال كامل بلاد البرتغال وضمها إلى التاج الإسباني، الخطوة

بلاط السلطانة وابنها

التالية التي أقدم عليها ملك إسبانيا هي مهاجمة مملكة إنكلترا وضمها إلى الحظيرة الكاثوليكية بعد أن أعلنت ثورتها الإنجيلية، فضلا عن رغبة مدريد وروما البابوية في توحيد الغرب الأوروبي في كيان سياسي واحد لمواجهة الخطر العثماني المتزايد.

لذلك لم تجد الملكة الإنكليزية إليزابيث أمام خطر الغزو الإسباني إلا الاستعانة بالسلطان العثماني، العدو اللدود للعاهل الإسباني، ذكرت الملكة إليزابيث في رسالة استنجادها بالسلطان مراد الثالث، أنها لا تؤمن بعبادة التجسيم أو التصوير في مذهبها البروتستانتي كما هي الحال في الدين الإسلامي، طالبة التحالف من أجل مواجهة الكاثوليك الإسبان الذين وصفتهم بـ(عبدة الأصنام). رد عليها سلطان العالم مرحبا بالتحالف الداعي لتقليص النفوذ الإسباني داخل البيت الأوروبي، إلا أنه اشترط في خطابه لملكة إنكلترا قائلًا: «وأنتم عليكم كذلك الطاعة والانقياد لبابي العالي»، واعدًا إياها بالمساعدة المالية والعسكرية.

كانت الملكة إليزابيث تعرف جيدًا توزيع مراكز النفوذ في إسطنبول، لذلك بعثت برسالة منفصلة إلى صفية خاتون، وهو ما يكشف بجلاء عن المكانة الدولية التي وصلت إليها صفية خاتون، فالرسالة تحمل صيغ تبجيل وتعظيم من إليزابيث الأولى للسلطانة صفية، ما يعد اعترافًا بمكانتها داخل البلاط العثماني، كما تعكس تلك الرسائل كيف لعبت المرأة دورًا كبيرًا في سياسات تلك العصور وكيف لعبت عملية تبادل النساء الرسائل دورا من أجل تأمين الدبلوماسية والتحالفات الاقتصادية والعسكرية.

مذبحة:

لم تكتف صفية خاتون بما حققته من انتصارات وتأكيد انفرادها بإدارة الدولة العثمانية، بل أرادت أن تكسب انتصاراتها الديمومة والاستمرارية، لذلك عملت على استصدار قرار من السلطان مراد الثالث، بتعيين ابنه منها الأمير محمد خان كولي عهد الدولة العثمانية، بذلك

توابيتأبناء السلطان مراد - المغدور بهم

ضمنت صفية خاتون، العرش لابنها، لكن إخوته غير الأشقاء كانوا مصدر قلق بالنسبة إليها، فهي تعرف يقينًا أن الجيش العثماني غير راض عن سيطرتها على السلطان ضعيف الشخصية، وقد ينحاز، نكاية في صفية خاتون، إلى أيّ من أبناء السلطان إذا أعلن الثورة ضد ابنها الأمير محمد بعد توليه السلطنة، لذلك رأت صفية خاتون ضرورة إقصاء إخوة ابنها الأمير محمد من المشهد السياسي للدولة العثمانية و إخراجهم من معادلة توازنات القوى داخل البلاط العثماني، خاصة أن السلطان مراد الثالث كانت لديه ذرية كبيرة، وكان لديه أكثر من 15 ابنا كلهم على أتم الاستعداد لتولي العرش العثماني.

حلمت صفية خاتون بلقب «السلطانة الأم» الذي ستحمله بعد وفاة زوجها السلطان مراد، وتولي ابنها محمد أمور البلاد والعباد، لن تنفرد بإدارة الحرملك و يصبح تدخلها في أمور الدولة عاديا، بل ستكون صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في البلاط العثماني، سيكون لديها مخصصات مالية ضخمة ووضع رسمي تتخطى به صراعات جواري الحرملك، ومشاكلهن التافهة.

توابيت

الهدف الذي وضعته صفية خاتون نصب أعينها، أعماها عن أي شيء آخر، فقررت استخدام الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتثبيت نفوذها نهائيًّا داخل الحرملك، قررت أن تخوض في بحور الدم خوضًا، دبرت صفية خاتون مؤامرة دموية في هدوء وصمت، قررت تصفية جميع الأمراء لتأمين وصول ابنها بسلاسة

إلى عرش الدولة العثمانية، كانت تعرف أن أيّ تهاون في خطتها قد يؤدي إلى الفشل وخسارة كل شيء، لذلك اتفقت مع جواريها وعبيدها.

ما إن أعلن عن وفاة السلطان مراد الثالث في يوم 19 يناير 1595م، حتى أعطت صفية خاتون إشارة البدء لتنفيذ مؤامرتها، كانت وفاة السلطان مراد تعني ساعة الصفر لمخطط صفية خاتون، فعندما بدأت الاستعدادات في قصر طوب كابي، لإعداد جثمان العاهل العثماني، و إجراء مراسم العزاء في القاعة الكبرى لقصر السلطنة، التي من المفروض أن يتقدمها السلطان الجديد محمد الثالث، حتى تحركت صفية خاتون على أكثر من مستوى.

في البداية أسرعت صفية خاتون إلى جناح ولدها ولي العهد محمد خان شاهزاده تخبره بوفاة والده، وتطالبه بسرعة التوجه إلى الديوان السلطاني حيث وزراء الدولة في انتظاره، لإعلانه سلطانًا جديدًا للبلاد، حتى تقطع أية محاولة من إخوته أو أحد الوزراء لتدبير مخطط بديل، فضلًا عن أن يتولى الإشراف على مراسم عزاء السلطان الراحل، واستقبال المعزّين وهو جالس على كرسي العرش، لم يعترض السلطان الشاب محمد الثالث، فهو كوالده ضعيف الشخصية مسلوب الإرادة، لم يكن إلا دمية في يد والدته صفية خاتون وجواري القصر، إلا أنه سأل أمه عن مكان تواجد إخوته غير الأشقاء، بعد أن لاحظ اختفاء معظمهم من مراسم العزاء.

لم تتحرج صفية خاتون، عندما أجابت ولدها قائلة: «لاتقلق يا عزيزي، فأنت وحدك بصفتك سلطان البلاد الجديد، ستتولى واجب تقبّل العزاء في سلطاننا الراحل، أما إخوتك الباقون، فقد سبقوك إلى داخل الضريح ليكونوا في استقبال جثمان والدهم السلطان المعظم عند الدفن».

لم يحمل السلطان محمد كلام والدته على المعنى الحرفي، لكنها كانت تعني ما تقوله حرفيًا، فأبناء السلطان الثمانية عشر، سبقوه إلى القبر فعلا قبيل شروق الشمس في عتمة الظلام ولكن كجثث هامدة، فعبيد صفية خاتون نفذوا أوامر سيدتهم، التي صدرت بضرورة الانفراد بكل أمير على حدة، ثمانية عشر من العبيد بعدد الأمراء، دخلوا على الأمراء في أجنحتهم، انقضوا عليهم خنقوهم بأوتار الأقواس الناعمة، في مذبحة بشعة.

عندما طلع النهار كان غراب الموت ينعق في جنبات قصر الباب العالي، الأمراء الشباب حملوا على الأعناق إلى قبر والدهم، دفنوا قبله، في مشهد جنائزي صامت، لم يحضره إلا العبيد القتلة.

السلطان الشاب محمد الثالث بحث عن إخوته، لم يجدهم، اكتشف الحقيقة، فالنبأ رددته جنبات الحرملك، عندما واجه السلطان صفية خاتون، التي حصلت رسميًّا على لقب السلطانة الأم، قالت له ببرود يليق بأكثر السفاحين دموية: «لقد خلصتك منهم حتى لا ينازعك في السلطة أحد منهم، ولتصبح أنت وحدك سلطان العالم بلا منازع، فعلت معك ما فعله والدك السلطان مراد مع إخوته الخمسة، أعمامك الأمراء محمد وسليمان ومصطفى وجهانكير وعبدالله، أتذكرهم، أنت لم ترهم، والدك السلطان أمر بقتلهم، حتى لا يزاحمه أحد منهم في السلطة، كل ما حدث أنني أرحتك من اتخاذ هذا القرار البشع، لم تكن هناك رفاهية الوقت، حتى أنتظر جلوسك على العرش، ثم تصدر قرارك بقتل إخوتك، قوات الجيش لا ترضى بك ولا بي، لو وضع قادة جيشك يدهم على أحد إخوتك، فمصيرك ومصيري الموت، لذلك فعلت ما فعلت».

لم يغضب السلطان محمد الثالث، كان يعلم في داخله قوة حجج والدته، ويعلم أن قرار قتل إخوته اتخذ منذ تعيينه وليًّا للعهد، كما جرت العادة العثمانية، ولم يستغرب من جرأة والدته على سفك الدماء، فهي سليلة أسرة بافو الإيطالية، الذين اعتادوا خنق أعدائهم في سجونهم القذرة، ثم يلقون بجثثهم في مياه النهر ويخرجون في اليوم التالي بالابتسامة تعلو وجوههم، يدركون أن ماء النهر أخفى جريمتهم، ما أدهشه حقيقة هو قدرة والدته السلطانة صفية على تدبير مؤامرة بهذا الحجم دون أن يشعر أحد في الحرملك، على الرغم من أن العيون مسلطة والآذان مرهفة، كان يحترم والدته ويحبها، ولكن الآن لمحة من الخوف سكنت قلبه تجاهها.

كما عرفت السلطانة الأم صفية خاتون كيف تسكت ابنها، عملت على إسكات الرعية وفرق الجيش التي وصلها الخبر سريعًا، عندما وصل الخبر كانت قد تمت عملية مراجعته من قبل السلطانة الأم وحاشيتها، ما رددته العامة متسائلة عن هوية السلطان الجديد، هو أن محمد خان ابن السلطان الراحل، قد أصبح سلطان البلاد الجديد، أما إخوته فقد قتلوا بعد أن أعلنوا تمردهم على السلطان الجديد وحاولوا الانقلاب عليه بل وقتله، فكان الموت جزاء الخائن،

هكذا تم القضاء على الإخوة ومسح ذكراهم بتشويه أفعالهم أمام العامة، خطوة ذكية لكنها دموية من صفية خاتون التي نجحت في تثبيت دعائم سلطان ولدها الشاب.

أما إخوته الثمانية عشر فقد حفظت لنا سجلات القصر العثماني أسماءهم، وهم: عثمان، وسليم، وبايزيد، وجيهانكير، ومصطفى، وعبد الرحمن، وعبدالله، وكركود، وعمر، وعلي، وحسن، وحسين، وأحمد، ويعقوب، وعلمشاه، ويوسف، وإسحق، وعلاء الدين، لم يبق إلا الأسماء أما الأشخاص فقبورهم محفوظة حتى يومنا هذا في آيا صوفيا بجوار والدهم السلطان مراد الثالث شاهدة على الجريمة البشعة.

سلطانة الدولة:

لم تكن تلك المذبحة التي أشرفت عليها السلطانة الأم صفية خاتون، إلا مقدمة لعهد سيطرتها على الدولة العثمانية سيطرة فعلية، فطوال سنوات حكم السلطان محمد الثالث (حكم في الفترة من 1595حتى 1603م) ظلت مقاليد الحكم بيدها هي، فولدها السلطان الجديد لم يكن يختلف عن والده في ضعف الشخصية وعشق الجواري الحسان، لذلك استعادت السلطانة صفية سلاح عدوتها السابقة السلطانة نوربانو، وأحاطت ابنها السلطان بعدد من الجواري، تشغله بالنساء عن أمور الحكم، تلهيه بمتع الحياة عن إدارة الدولة التي كانت تحتاج إلى رجل بمواصفات خاصة لانتشال الدولة من المستنقع الذي بدأت تسقط فيه، فالدولة العثمانية منيت بهزائم هنا وهناك، فالدولة الصفوية في إيران استعادت قوتها وحققت نجاحات هائلة في العراق، أما النمسا فقد تقدمت بجرأة تهاجم الحدود العثمانية في البلقان محققة انتصارات كبيرة على الجيوش العثمانية، أما فرق الجيش العثماني التي لم تعد ترى السلطان ولم تعد تعرف لها قائدًا يتولى زمامها، فقد دخلت في صراعات داخلية، السباهية ضد الإنكشارية، والولاة ضد بعضهم البعض، فوضى ضربت أركان الإمبراطورية العالمية.

وسط كل هذه المآسي، كان السلطان في جناحه الخاص يحظى بلحظات من وهم السعادة مع جواري تم إعدادهن من أجل تخدير السلطان وإبعاده عن الحكم، من أجل أن تحكم السلطانة الأم صفية خاتون ومن خلفها الحرملك على شؤون الحكم، ولم يكن أحد غافلًا عما يجري في القصر، فسفراء الدول الأوروبية في إسطنبول، كتبوا العديد من التقارير حول

سلطة الحرملك، خاصة السلطانة الأم صفية خاتون، التي اعترفت الدول الأوروبية بمكانتها في مراسلات رسمية، كونها أصبحت تدير الدولة فعليًّا، وهو ما عبر عنه صراحة السفير الفرنسي في تقريره لباريس قائلًا: «إن الحريم يقمن بدور كبير في حكم الدولة العثمانية، تقودهن السلطانة الأم، وهي تسيطر على الباشوات (أي الوزراء) وتضفي عليهم العديد من مظاهر الرعاية».

استسلم السلطان محمد الثالث لرغبات والدته السلطانة الأم، التي أظهرت شبقًا للسلطة لم يعرف أيّ حدود، وأحكمت قبضتها على إدارة الدولة بشكل غير مسبوق، حتى اتفق مؤرخو الدولة العثمانية على أنها المرأة الوحيدة التي مارست الحكم الفعلي في تاريخ الدولة العثمانية، بصورة فاقت كل من جاء قبلها وبعدها من نساء الحرملك اللاتي عرفهن التاريخ.

باتت السلطانة الأم صفية خاتون، سيدة الحرملك والشخصية الأولى في الدولة، صاحبة الأمر والنهي، ابنها السلطان الضعيف عرفت كيف تدخله حظيرة الحرملك، يرتع في نعيم الجواري، غير عابئ بمصير دولته وشعبه، أما رجال الدولة فأدركوا جيدًا أن مخالفة أوامر السلطانة الأم يعني الموت، فعندما ثارت فرق الإنكشارية، التي استغلت غياب السلطان، والفوضى التي ضربت الدولة، لتعيث في العاصمة إسطنبول فسادًا، وهاجموا قصر «طوب كابي سراي»، في سابقة دلت على مدى المهانة التي وصلت إليها شخصية السلطان العثماني، الذي سقط من نظر الجميع.

وطالبت فرق الإنكشارية بدفع رواتبهم كاملة؛ فورًا، وأن تلغى الإصلاحات النقدية التي أجرها الصدر الأعظم على العملة ما أدى إلى تخفيض قيمتها، بعد أن ارتفعت بصورة مبالغة نتيجة لألاعيب المضاربين، لم يجد السلطان محمد الثالث ما يدفعه للجنود الثائرين، ذهب إلى أمه علها تدبره في دفع خطر الجيش الغاضب، لم تر السلطانة الأم في الفوضى الجارية إلا فرصة لتدعيم نفوذها، فأرسلت إلى قادة الإنكشارية رسولًا من قبلها، لتقول لهم: «إن السلطان معكم، ويتفهم أسباب ثورتكم، وهو غاضب على الصدر الأعظم؛ لأنه سبب هذه الفكرة»، وبعثت رسالة أخرى إلى قادة الثورة، مفادها أن السلطان سيدفع لكم رواتبكم، مع زيادة عن المقرر، إذا ما فصلتم رأس الصدر الأعظم عن جسده أولًا»، هكذا قضي على الصدر الأعظم نتيجة مؤامرات السلطانة الأم صفية خاتون.

جاء انهيار نفوذ السلطانة صفية خاتون، من حيث لم تحتسب فالموت الذي لا تستطيع شخصية بنفوذ صفية خاتون دفعه، زار سريعًا السلطان محمد الثالث سنة 1603، ولم تمض على فترة سلطنته إلا ثمانية أعوام، عن عمر ناهز الـ36 عامًا، وهو في قمة شبابه، وتولى خلفه ابنه الشاب السلطان أحمد الأول، الذي كان في الرابعة عشرة من عمره عندما تولى إدارة الدولة العثمانية، ومع توليه السلطنة انتقل لقب السلطانة الأم من صفية خاتون إلى أم السلطان الجديد؛ خندان خاتون، يونانية الأصل، وكانت الأخيرة على قدر من المسؤولية التاريخية، وسمو الأخلاق، فنصحت ابنها السلطان أحمد بالعفو عن أخيه الأمير مصطفى وعدم تنفيذ حكم الإعدام فيه، ووفقًا للقاعدة العثمانية بقتل السلطان لإخوته الذكور، وهو ما لم ترض عنه السلطانة صفية خاتون التي أرادت أن تمارس نفوذها كما كان وقت زوجها وابنها السلطانين مراد الثالث ومحمد الثالث، مع حفيدها السلطان أحمد الأول، إلا أن السلطانة الأم خندان خاتون وقفت لها بالمرصاد، وأوعزت لابنها بتخصيص قصر منيف على ضفاف البوسفور، بعيدًا عن مقر الحكم في قصر الباب العالي، لتقضي فيه بقية حياتها، وهو ما تم فعلًا لتمر السنوات الأخيرة على السلطانة صفية في هدوء تتحسر على نفوذها المتداعي، حتى زارها رسول الموت سنة 1605م، لكن ذكراها كامرأة حديدية في الحرملك لم تضع هباء فعم قليل سيستقبل «الحرملك» سلطانة جديدة ستصل إلى مستوى أعلى من النفوذ والسلطة، إنها « كوسم سلطان» الملقبة بـ«ماهبيكر» أول امرأة تتولى منصب نائبة السلطان رسميًّا في تاريخ الدولة العثمانية.

الأقفاص

أراد السلطان محمد الثالث ووالدته السلطانة صفية خاتون إحكام السيطرة على الحرملك والقضاء على أيّ منافس محتمل، فبعد تنفيذ مذبحة الأمراء، قررت السلطانة صفية حبس بقية أمراء آل عثمان في أجنحة خاصة عرفت بـ«الأقفاص».

كانت تلك الأقفاص فكرة شيطانية من بنات أفكار السلطانة صفية خاتون، تركت آثارها السلبية على مستقبل الدولة العثمانية، فطبقا للقاعدة كان يتم إرسال أمراء آل عثمان كولاة على ولايات الدولة المختلفة ليتم تدريبهم على شؤون الحكم والإدارة، يختلطون بجنود الدولة يكتسبون مهارات عسكرية لازمة لإدارة دولة بضخامة الدولة العثمانية، لكن قرار السلطانة

صفية جاء ليبعد الأمراء عن كل هذه الأمور، فما يكاد الأمير تظهر عليه علامات البلوغ حتى يجر جرا إلى أحد أجنحة الحرملك، يحبس فيها ويمنع من مخالطة أقرانه، ولا يصاحبه في حبسه الانفرادي إلا العبيد والخصيان.

كانت قواعد «الأقفاص» واضحة لا يمكن للأمراء الخروج من تلك الأقفاص لأيّ سبب كان، كما أنهم محرومون من معاشرة النساء؛ لأن الغرض من حبسهم هو قطع نسلهم، فوجود ذرية لأيّ من هؤلاء الأمراء خطر على حياة السلطان القائم، ولم يكن الأمير في محبسه ينتظر إلا دخول أحد العبيد بأطباق الطعام أو دخول السياف يخلصه من عذابه بقرار من السلطان، وهو ما جعل أمراء الأقفاص نموذجا للمرضى النفسيين الذين قضى عليهم البقاء في الظلم والوحدة فترات طويلة.

وهكذا بدلًا من أن يخرج الأمراء لممارسة ألعاب الفروسية والاختلاط بجنود الجيش العثماني والمشاركة في إدارة الدولة، كانوا يحبسون في أقفاص كحيوانات يمنع الاختلاط بها، ولم يجر ذلك القرار إلا الخراب على الدولة العثمانية، فقد وصل إلى حكم الدولة سلاطين ضعاف، يعانون أمراضًا نفسية، فكانوا لعبة في أيدي رجال الدولة الذين تحكموا في الدولة لتحقيق مصالحهم الشخصية.

صور مسجد السلطانة صفية

المصادر والمراجع

1) https://www.google.com.sa

2) https://ar.wikipedia.org/wiki/

3) http://www.aljarida.com/news/index/

مصر 1920م

ليس من الغريب أن تتشابه أخلاق وسلوكيات أفراد بعض العائلات، ولا غر وأن للوراثة دورًا كبيرًا في ذلك، ولهذا نجد بعض العائلات تشتهر بالجود والكرم وأخرى بميلها للعنف وسرعة الغضب، وهناك أيضًا عائلات يجمع بين أفرادها خصلة سوء الأخلاق ورداءة الطبع فترى الناس تتحاشى الاختلاط بها وتتجنب جيرتها. وفي مقالنا هذا سنتناول ثلاث قصص مختلفة لنساء ينتمين إلى هذه الطينة والعينة، فهن شقيقات جمعهن رابط الدم وتشابهت أخلاقهن الرديئة فأصبحن قاتلات محترفات وجدن لذتهن في سفك الدماء واستلال الأرواح البشرية لأجل غاياتهن المريضة والدنيئة.

الصور الحقيقية لريا وسكينة

ربما تكون قصة ريا وسكينة هي من أشهر قصص القتلة المتسلسلين (Serial killers) في مصر والعالم العربي، وقد يعود جزء كبير من هذه الشهرة إلى الإعلام المصري الذي تناول القصة منذ منتصف القرن المنصرم في عدة أفلام ومسرحيات نالت نجاحًا واسعًا، ربما تكون أكثرها صيتا وأقربها إلى ذاكرتنا هي مسرحية (ريا وسكينة) التي جسدت فيها الفنانتان الكبيرتان شادية وسهير البابلي شخصية الأختين القاتلتين في عرض ممتع امتزج فيه الضحك والغناء مع

الخوف والسوداوية المرتبطة بالوقائع الحقيقية للجريمة. وربما يعود جزء من شهرة القصة أيضًا إلى سحر الماضي، فمطلع القرن العشرين كان زمانًا له نكهة خاصة ليس في مصر فحسب بل في جميع أرجاء المعمورة، فذلك العهد شكل انعطافة كبيرة في تاريخ البشرية جمعاء، حيث بدأت الاختراعات والاكتشافات تتوالى بشكل متسارع في جميع المجالات فظهرت الطائرات والسيارات وشبكات الكهرباء والسينما... إلخ، لذلك أصبحت تلك الحقبة تمثل مزيجًا سحريًّا غريبًّا يتداخل فيه القديم مع الحديث فكانت العربة التي تجرها الخيول تسير في الشارع جنبا إلى جنب مع السيارة والقطار وكانت الأزياء والألوان تختلط في الأسواق والمقاهي ما بين القديم المتمثل في جلاليب وعباءات الناس البسطاء والحديث الذي تجسده البدلات والفساتين البراقة والأنيقة لطبقة الأفندية والهوانم، وعلى الرغم من أن معظم الناس كانوا فقراء لكن الحياة بشكل عام كانت سهلة وبسيطة لذلك دأب العجائز وكبار السن على تذكر تلك الأيام قائلين بحسرة: «الله يرحم زمان وأيام زمان».

ينبغي أن نذكر قبل الخوض في تفاصيل القصة، للأمانة والتاريخ، بأن جرائم الشقيقتين لم تكن غريبة ولا جديدة على العالم العربي، فمن ينبش في كتب التراث سيجد جرائم مماثلة، بل ربما أسوء وأبشع، ذكرها المؤرخون القدماء في كتبهم. جرائم جرت أحداثها ووقائعها خلال القرون المنصرمة في بغداد والقاهرة وغيرها من الحواضر العربية والإسلامية لكنها محيت من الذاكرة وطواها النسيان لتقادم الزمان ولقناعة البعض الساذجة في أن الأقدمين كانوا منزهين عن جرائم وآفات المجتمع العصري، ولعل عصابات الخناقين هي الأشهر في هذا المجال وهي أبلغ مثال على جرائم قتلة الأزمان الغابرة، فهؤلاء السفاحون تفننوا في استدراج ضحاياهم والإيقاع بهم، ومثلما كانت ريا وسكينة تخدعان الضحية وتجرانها إلى حتفها بالحيلة والكلام المعسول، فإن نساء الخناقين كانت وظيفتهن تنحصر غالبًا في الإيقاع بالضحية واستدراجها إلى الكمين المتفق عليه حيث يتولى أفراد العصابة من الرجال قتلها ودفنها.

من مسرحية (ريا و سكينة)

الإسكندرية في مطلع القرن العشرين لم تكن كما يعرفها الناس اليوم، كان قسم كبير منها يغص بالأحياء القديمة والمنازل المتهالكة التي كان يتقاسم غرفها عدة مستأجرين في آن واحد، فالبناء العمودي ونظام الشقق لم يكن منتشرا آنذاك كما هي الحال الآن، وكانت الشقيقتان ريا وسكينة تعيشان في أحد تلك الأحياء القديمة والفقيرة الذي كان يدعى بحي اللبان. وفي عام 1920 بدئت ترد إلى قسم شرطة اللبان بلاغات من بعض الأهالي حول اختفاء نسوة من أقاربهم بشكل غامض، الطريف في الأمر أن بعض ذوي النساء المفقودات ذكروا اسم سكينة ضمن إفاداتهم على إنها كانت آخر شخص تمت مشاهدته مع بعض المفقودات قبل اختفائهن، والأطرف من ذلك هو أن بعض جرائم القتل حدثت في أماكن لا تبعد عن قسم الشرطة سوى أمتار معدودات. لكن بالطبع يجب أن لا ننسى بأننا نتكلم عن أحداث جرت قبل ما يقارب القرن من الزمان، عندما كانت وسائل وتقنيات التحقيق لدى الشرطة تتصف بالبدائية، وفي زمان كانت الشرطة تعمل فيه جاهدة لبسط سطوتها على الأحياء والحارات التي كان يحكمها الفتوات والبلطجية، لذلك تم إهمال العديد من الأدلة التي كان يمكن أن تدين السفاحتين اللتين مضين في قتل المزيد من الضحايا بدون خوف أو وجل، ومع ازدياد عدد ضحاياهن، تزايد أيضًا وانتشر الرعب والهلع في المدينة انتشار النار في الهشيم وصارت النساء تتحاشى مغادرة منازلهن إلا عند الاضطرار وذلك بسبب خوفهن من عصابات الخطف.

ريا وسكينة وزوجاهما حسب الله ومحمد عبد العال

في النهاية كانت الصدفة وحدها هي التي أوقعت الشقيقتين في يد العدالة، فسكينة كانت تستأجر غرفة من الباطن، أي أنها كانت مستأجرة لدى أحد الأشخاص الذي كان هو أيضًا بدوره مستأجرًا من صاحب العقار الأصلي، ويبدو أن العلاقة بين المستأجر والمؤجر لم تكن على ما يرام فوصلت خلافاتهما

إلى أقسام الشرطة والمحاكم، وحين أمرت المحكمة بإخلاء المنزل لصالح مالك العقار الأصلي اضطرت سكينة أيضًا إلى إخلاء غرفتها، وقد حاولت بكل وسيلة وحيلة إقناع صاحب العقار بأن يؤجر لها الغرفة مرة أخرى لكنه رفض ذلك بشكل قاطع بسبب سيرتها المشينة وتصرفاتها التي طالما أزعجت الجيران، فسكينة كانت بائعة هوى في شبابها ثم أصبحت قوادة تستأجر عددًا من البيوت والغرف لإقامة حفلات السكر والعربدة مستعينة بعدد من بائعات الهوى والنساء سيئات الصيت، وقد ورد في حيثيات الحكم الصادر بحق الشقيقتين من محكمة جنايات الإسكندرية ما يؤكد طبيعة عملهن حيث ذكر أن: (هذه المحلات جميعها أعدت للدعارة سرًّا وكانت البغايا من النساء تترددن إليها تارة من تلقاء أنفسهن وطورًا بطلب من ريا وسكينة لتعاطي المسكرات وارتكاب الفحشاء فيها وكانت إدارة المحلات المذكورة مشتركة بين ريا وسكينة وأرباحها تقسم بينهما).

وتشاء الصدف أن يقرر مالك العقار الذي أُخليت منه غرفة سكينة إجراء بعض الترميمات في أرجاء المنزل، ومن ضمنها الغرفة التي كانت مستأجرة من قِبَل سكينة، حيث شرع في حفر أرضيتها لغرض تبديل بعض أنابيب المياه المتآكلة، لكن الرجل ما يلبث أن يعثر على بعض العظام البشرية مدفونة تحت البلاط فيمضي في الحفر حتى يعثر على جثة كاملة متفسخة لامرأة لم يتبق مما يدل على هويتها سوى بعض خصلات الشعر الطويلة المعلقة بالكاد إلى جمجمتها. يهرع الرجل إلى قسم الشرطة مصطحبا إياهم إلى داره لمعاينة الجثة فيقرر هؤلاء الاستمرار في حفر أرضية الغرفة على أمل العثور على المزيد من الجثث، وبالفعل يتم العثور على جثة أخرى في نفس الغرفة، وعلى جثة ثالثة في غرفة مجاورة كانت مستأجرة أيضًا من قبل سكينة، ثم تبدأ الشرطة في البحث في المنازل والأماكن التي كانت سكينة تتردد عليها فتعثر على جثة رابعة في منزل آخر كانت سكينة تستأجر إحدى غرفه أيضًا. ويؤدي اكتشاف الجثث إلى أن ترتاب الشرطة أيضًا في ريا شقيقة سكينة وتبدأ في مراقبتها.

وتشاء الأقدار إن يشاهد أحد المخبرين ريا في منزل يقع بالضبط خلف مبنى قسم شرطة اللبان، يشك المخبر في تصرفات ريا لأنها كانت تعطر إحدى غرف المنزل بكمية كبيرة من البخور لا تتناسب مع حجم الغرفة الصغيرة، فتداهم الشرطة المنزل وتبدأ بتفتيش تلك الغرفة التي كانت تنبعث منها رائحة كريهة تزكم الأنوف لم تستطع أبخرة العود والبخور الكثيفة

والمتصاعدة في أرجاء المنزل من إخفائها، في تلك الغرفة تعثر الشرطة على اثنتي عشرة جثة تحت البلاط ومخبأة بين أخشاب العلية الملحقة بالغرفة، كما تعثر الشرطة على جثة إضافية في غرفة ملاصقة للغرفة الأولى ليصبح العدد الكلي للجثث المكتشفة سبع عشرة جثة.

تقوم الشرطة بإلقاء القبض على ريا وسكينة اللتين تحاولان في البداية إنكار أية علاقة لهن بالجثث، لكن حين تحاصرهما الشرطة بالأدلة والشهود تعترفان أخيرًا بجرائمهما التي تتمثل في استدراج النساء إلى مجموعة من البيوت والغرف المستأجرة لغرض قتلهن والاستيلاء على مصوغاتهن وحليهن الذهبية، وأغلب الضحايا كن إما من بنات هوى أومن النساء المتبضعات في أحد الأسواق التجارية القريبة من حي اللبان. أما طريقة القتل فقد قالت الشقيقتان إنهما كانتا في البداية تغريان وتخدعان الضحية بالكلام المعسول حتى تنالا ثقتها، ثم تسقيانها شرابا فيه خمرة قوية تؤدي بها إلى السكر والثمالة فتفقد القدرة على التركيز والقوة على المقاومة، حينئذ كان أحد أفراد العصابة من الرجال يتسلل بهدوء خلف الضحية ثم يقوم بحركة سريعة ومباغتة بلف منديل من القماش على رقبتها بأحكام ثم يبدأ بخنقها بكل ما أوتي من قوة، وفي هذه الأثناء أيضًا يرتمي بقية أفراد العصابة على الضحية كما ترتمي الذئاب على طريدتها المذعورة، فيقوم بعضهم بتكميم فمها لمنعها من الصراخ بينما يمسك الآخرون بيديها ورجليها ويثبتونها حتى تلفظ آخر أنفاسها، وما أن تفارق الضحية الحياة حتى يجردوها من حليها ومصوغاتها الذهبية وملابسها ثم يقومون بدفنها في نفس المكان الذي قتلت فيه، وكانت الشقيقتان تبيعان الذهب المسروق إلى أحد محلات الصاغة في السوق ثم تقتسمان ثمنه مع بقية أفراد العصابة.

جثتا السفاحتين بعد إعدامهما

المجرمون الرئيسيون في جرائم القتل كانوا كل من: ريا وزوجها حسب الله، وسكينة وزوجها محمد عبد العال، وشخصين أخريين باسم عرابي وعبد الرزاق، وقد قضت محكمة جنايات الإسكندرية بإعدامهم جميعًا وتم تنفيذ الحكم فيهم بتاريخ 21 - 22 كانون الأول /

ديسمبر عام 1921، كما شمل الحكم سجن الصائغ الذي كان يشتري الذهب المسروق من الشقيقتين لمدة خمسة أعوام، في حين برأت المحكمة ثلاثة أشخاص آخرين كانوا على علاقة بالمجرمين وتم إخلاء سبيلهم.

مع إعدام الشقيقتين السفاحتين تم طوي صفحة جرائمهن البشعة إلى الأبد، لكن الرعب والإثارة التي سببتها تلك الجرائم استمرت حتى اليوم، وما زال الناس في حي اللبان في الإسكندرية يتذكرون قصة ريا وسكينة ويحدثون الزائرين عنها كأنها حدثت بالأمس، أما قسم شرطة اللبان نفسه فقد تحول اليوم إلى ما يشبه المتحف حيث يضم بين جدرانه بعض متعلقات القضية كأوراق التحقيق وحكم المحكمة وصور قديمة للشقيقتين مع صور بعض ضحاياهن. بالنسبة للمنزل الذي عثرت الشرطة فيه على جثث الضحايا فهناك اختلاف بين السكان حول مكان المبنى الأصلي، لكن الأرجح أنه هدم في خمسينيات القرن المنصرم وشيدت مكانه عمارة صغيرة ما زال بعض سكانها يذكرون قصصًا طريفة حول خوفهم وهلعهم من السكن فيها في بداية تشييدها.

وهم «الخنّاقون» الذين ذكرهم الجاحظ في «الحيوان» وكانوا منتشرين في البصرة وبغداد على عهده وقال عنهم: «إنهم لا يسكنون في البلاد إلا معًا ولا يسافرون إلا معًا، فلربّما استولوا على الدرب بأسره ولا ينزلون إلا في طريقٍ نافذ ويكون خلف دورهم أما صحارى أو بساتين وأشباه ذلك تسهيلًا للهرب إذا حوصروا. وكان لهم دربٌ ببغداد يسمى «درب الخناقين»؛ حيث يقتادون الضحية إلى دربهم وقد جعلوا على أبوابهم مُعَلِّمًا منهم ومعه صبيان يعلّمهم الهجاء والقراءة والحساب. وفي كلِّ دارٍ لهم كلاب مربوطة تشترك كذلك في العملية. ولدى نسائهم دفوف وطبول وصنوج. فإذا أراد أهل دار منهم خنقَ إنسان ضربت النساء بالطبول والدفوف والصنوج وأطلقن الزغاريد وصاح المعلّم بالصبيان أن ارفعوا أصواتكم بالقراءة وهيّجوا الكلاب. فلو كان للمخنوق صوتُ حمارٍ لما شعر بمكانه أحد كما أن الناس إذا سمعوا تلك الجلبة لم يشكّوا أن عرسًا يجري في دورهم أو فرحًا. (الحيوان / 2/ 264).

وذكر ابن الجوزي في المنتظم وبتفاصيل أشمل من هذا فقال: «وفي يوم الخميس ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى أخذ خناق ينزل درب الأقفاص من باب الشام خنق جماعة ودفنهم في عدة دور سكنها وكان يحتال على النساء يكتب لهن كتاب العطف ويدعى عندهن

علم النجوم والعزائم فيقصدنه فإذا حصلت المرأة عنده سلبها ووضع وترًا له في عنقها ورفس ظهرها و إعانته امرأته وابنه فإذا ماتت حفر لها ودفنها فعلم بذلك فكبست الدار فأخرج منها بضع عشرة امرأة مقتولة ثم ظهر عليه عدة دور كان يسكنها مملوءة بالقتلى من النساء خاصة، فطلب فهرب إلى الأنبار فأنفذ إليها من طلبه فوجده فقبض عليه وحمل إلى بغداد فضرب ألف سوط وصلب وهو حي ومات» .... ولاحظ هنا مشاركة المرأة والابن في هذه الجريمة يدل على أن هذه العائلة قد اتخذت حرفة الخناقة لسلب الناس أموالهم!

وفي القاهرة، ذكر بدر الدين العيني في كتابه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان في حوادث سنة 662 هـ عن امرأة خناقة أسمها غازية الخناقة حيث يقول: « ومنها: أنه وجدت بظاهر القاهرة، خارج باب الشعرية، امرأة تتحيل على الناس، وتدخلهم بيتًا لها هناك، وقد أعدت فيه رجالا يطابقونها على سوء فعلها، فيخنقون من تأتي به فقتلت خلقا كثيرًا من رجال ونساء، فأمر بها فسُمرت.

وكان اسم هذه المرأة السيئة غازية الخناقة، وكانت ذات حسن وجمال، وكانت تمشى بالمدينة ومعها عجوز تطمع الناس في نفسها، وكان من طمع فيها وطلبها تقول له العجوز: إنها لا يمكنها التوجه إلى أحد، ولكن تعال أنت إلى بيتها، فيجيء، فيطلع له رجلان، فيقتلانه ويأخذون ما معه، وكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان، فاتفق أن العجوز أتت إلى بعض المواشط، وأمرتها أن تأخذ ما تقدر عليه من الحلي والحلل، وتمضي معها لعروسة عندها، ففعلت الماشطة، واستصحبت معها جارية لها، ولما دخلت الماشطة منزلهم، رجعت الجارية إلى مكانها، فقتلوا الماشطة، وأخذوا ما معها، فاستبطأتها جاريتها، فجاءت إليهم وطلبتها، فأنكروها وادعوا أنها خرجت من يومها، فمضت وأتتهم بصاحب الشرطة، فاحتاط عليهم وعذبهم، فأقروا بما كانوا يفعلون، واطلعوا في بيتهم على حفرة فيها خلق عظيم مقتولين، وكان بعض الطوابين قد اتفق معهم، وجعلوا يحضرون إليه القتلى مختفيًا، فيحرقهم في أقمنة الطوب، فأمسكوا جميعًا وسمروا، وكانوا خمسة أنفس، وأما المرأة فإنها بعد التسمير أطلقت، فأقامت يومين، ثم ماتت، عليها ما تستحق.».

هذه القصة نشرت لأول مرة بالعربية في موقع مملكة الخوف بتاريخ 11/ 02/ 2010، هذا الذي قرأته عن السفاحتين وزوجيهما هو ما ذكر في موقع كابوس، ولكن إن أردت أن

تعـرف تفاصيل القصة كاملـة وبدقة فعليك أن تقرأ كتابين تحدثا عن ريا وسـكينة بالتفصيل وهما:

1) كتاب أسوأ النساء في التاريخ، تأليف سلمى مجدي، الطبعة الأولى 2009م، دار الكتاب العربي.

2) كتاب أشـهر الجرائم في التاريخ، تأليف محمد عبد الجواد - الطبعة الأولى 2012م، دار المشرق العربي.

الحادثة في الأعمال الفنية المصرية

العديـد مـن الأعمال الفنية اسـتخدمت قصة ريا وسـكينة؛ مثل الأعـمال التي قدمت في السينما والمسرح ومن أشهرها:

- فيلم ريا وسكينة، أنتج سنه 1953، بطولة نجمة إبراهيم وزوزو حمدى الحكيم وأنور وجدي ورياض القصبجي وسعيد خليل وفريد شوقي وشكري سرحان وسميرة أحمد وبرلنتي عبد الحميد.
- فيلم إسماعيل ياسين يقابل ريا وسكينة، أنتج سنة 1955، بطولة إسماعيل ياسين ومعه ثريا حلمي ونجمة إبراهيم وزوزو حمدي الحكيم ورياض القصبجي ونظيم شعراوي وعبد الفتاح القصري وعبد المنعم إسماعيل.
- فيلم ريا وسكينة، أنتج سنة 1983، بطولة شريهان ويونس شلبي وحسن عابدين ونعيمة وصفي ونعيمة الصغير وسميحة توفيق وسناء يونس.
- مسرحية ريا وسكينة، بطولة سهير البابلي وشادية وعبد المنعم مدبولي وأحمد بدير وسميحة توفيق.
- مسلسل ريا وسكينة، أنتج 2005، بطولة عبلة كامل وسمية الخشاب وسامي العدل وأحمد ماهر وصلاح عبد الله ومحمد الشقنقيري.
- برنامج تلفزيوني عنوانه: ريا وسكينة قدمته هالة فاخر وغادة عبد الرازق.

رياض الخولي
سامي العدل
محمد ماهر
ماجدة الخطيب
رياو سكينة

رياو سكينة

الفنانين المتحدين
شادية
سهير البابلي
عبد المنعم مدبولي
بهجت قمر
بليغ حمدي
رياو سكينة

أفلام الهلال
أنور وجدي
رياو سكينة
RAYA & SEKINA

يونس شلبي
شريهان
حسن عابدين
رياو سكينة
أحمد فؤاد
جمال المنيني • حسين السعدني

رياو سكينة
شادية
سهير البابلي
أحمد بدير
بليغ حمدي
حسين كمال

رياو سكينة
أنور وجدي

آخر ضحايا السفاحتين

السفاحتين

منزل السفاحتين

المصادر والمراجع

1) موقع كابوس، القسم: نساء مخيفات، العنوان: شقيقات قاتلات(1)، ريا وسكينة سفاحات تحولن إلى أسطورة.

2) https://www.google.com.sa

3) http://www.kabbos.com/index.php?darck=120

4) http://www.traidnt.net/vb/traidnt1767094/

5) https://ar.wikipedia.org/wiki/

إسكتلندا القرن التاسع عشر

هـذا الثنـائي اجتمع بالصدفة لأول مـرة وأول جثة حصلوا عليهـا أيضًا كانت عن طريق المصادفـة وبعدهـا بدأوا العمل معًا وسـاعدهم بعـد ذلك زوجاتهم، وكم من شـبه بين قصتهم وقصة ريا وسكينة مع اختلاف بسيط جدًّا و إليك القصة كاملة.

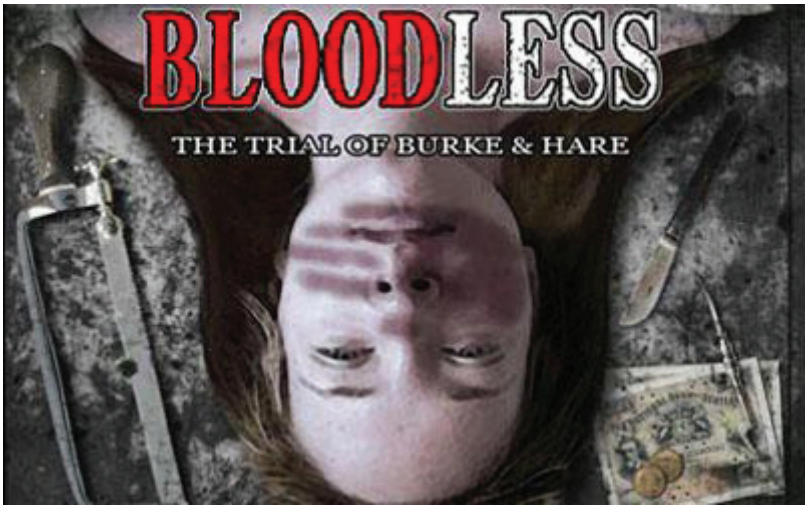

ملصق مسرحية مقتبسة عن قصة بورك وهير

لا ريـب في أن التشريـح هو مادة أساسـية لتعلـم الطب، ولهذا يوجد طلب مسـتمر على الجثـث من قبل كليات ومراكز البحـوث الطبية .. لكن يا ترى من أين يحصلون على كل تلك

الجثث؟ ربما من متبرعين .. وهذا صحيح جزئيًا، أما الحقيقة الكاملة فهي خافية على أغلب الناس. إذ إن هناك في الواقع عدة مصادر .. منها العالمي حيث تباع وتشترى جثث الفقراء - خصوصًا من جنوب شرق آسيا -، ومنها المحلي حيث تنبش أجساد الموتى من المقابر لتباع كاملة أو خردة لطلاب الطب ومريدي السحر والشعوذة، وهناك أيضًا جثث مجهولة الهوية لأشخاص قتلوا من أجل الحصول على أجسادهم أو أعضائهم كما في قصتنا هذه التي كانت إحداثها مدعاة لبث الرعب والهلع في قلوب سكان العاصمة الأسكتلندية إدنبره.

سرعان ما تواريا في أزقة أدنبره

- ما زال طريًا .. أقسم على ذلك .. لقد رحل هذا اليوم يا سيدي. قال أحد الرجلين وهو يربت بيده ويمررها على أجزاء ذلك الجسد المسجي أمامه كأنه جزار يستعد لبيع إحدى نعاجه!.

نظر السيد الأنيق إليهما باحتقار، فقد بدا جليًّا من ملابسهما الرثة والمتسخة بأنهما ينتميان إلى عالم أدنبره السفلي، حيث الجوع والفقر والجريمة، أشاح بصره عنهما متفحصًا الجثة بعينين خبيرتين، صمت لبرهة متفكرًا ثم قال: إنه رجل عجوز .. لن أدفع فيه أكثر من سبعة جنيهات.

- اجعلها سبعة جنيهات ونصف .. لن تندم على ذلك يا سيدي فالبضاعة جيدة كما ترى. قال الرجل الآخر وهو يهز الجثة بيده ليؤكد وجهة نظره.

- سبعة جنيهات وشلنان .. هذا هو عرضي النهائي. قال السيد الأنيق وهو ينحني ليخرج النقود من جرار مكتبه ثم أردف وهو يناولهما المال: مدداه على الطاولة وتذكرا جيدًا .. سأدفع لكما مبلغًا جيدًا مقابل كل جثة جديدة تحضرانها إلى هنا.

أخذ الرجلان المال وغادرا الغرفة على استعجال، ولم تمض سوى لحظات حتى تواريا كالأشباح في ضباب أزقة أدنبره المظلمة. كانت تلك هي المرة الأولى التي يقصدان فيها مكتب الطبيب روبرت نوكس ليبيعاه جثة بشرية، بيد أنها لن تكون المرة الأخيرة، فخلال الأشهر اللاحقة سيترددان على مكتبه مرارًا وتكرارًا، وفي كل مرة سيحملان معهما جثة جديدة، لكل

واحدة منها حكاية مختلفة لم يهتم الطبيب نوكس لسماعها مطلقًا، همه الوحيد كان يتمثل في الحصول على المزيد من الجثث من أجل حصص التشريح الرائجة والناجحة التي كان يقدمها لطلاب الطب في أدنبره.

لكن حكايتنا في الحقيقة لا تبدأ من مكتب الطبيب نوكس، و إنما من مكان آخر يبعد مئات الكيلومترات في أيرلندا الشمالية حيث ولد الرجلان وترعرعا. الأول يدعى وليم بورك، أبصر النور في بلدة صغيرة بالقرب من مدينة سترابن الأيرلندية عام 1792، كان والده مزارعًا بسيطًا لكن بورك لم يشأ أن يكون كوالده، عمل خادما لدى أحد النبلاء، ثم تاجرًا صغيرًا بالملابس والأحذية المستعملة. لكن المستقبل في أيرلندا لم يكن واعدًا، فقرر الهجرة حاله حال الآلاف من أبناء جلدته، وذلك بحثًا عن فرص أفضل، فوصل إلى أسكتلندا في عام 1817 تاركًا خلفه زوجة وطفلين. وما لبث أن وجد لنفسه عملًا في مشروع ضخم لشق قناة مائية، فأرسل إلى عائلته لتلحق به، لكن زوجته أصرت على البقاء في وطنها، فتعرف بورك على امرأة أخرى تدعى هيلين مكدوغال وعاشا معا بالقرب من أدنبره كزوج وزوجة.

بطل قصتنا الآخر يدعى وليم هير، وهناك لغط حول مكان وزمان ولادته، بيد أنه كان مهاجرًا أيرلنديًّا ينتمي إلى ذات المقاطعة التي هاجر منها زميله بورك، وهو أيضًا عمل في مشروع حفر القناة في أسكتلندا. ثم تعرف في أدنبره على رجل يدعى لوج كان يدير نزلًا - فندقًا - حقيرًا يؤجر غرفه للفقراء، وحين مات لوج هذا في عام 1826 تزوج هير من أرملته مارجريت التي استمرت بإدارة النزل فيما استمر هير في العمل في القناة.

في عام 1827، انتقل بورك وزوجته للعيش في الحي الجنوبي من أدنبره، وهناك تعرفا على مارجريت وزوجها، ثم سرعان ما توطدت العلاقة بين بورك وهير فصارا صديقين مقربين قلما يفترقان.

سوق الجثث البشرية .. نبذة تاريخية

منذ منتصف القرن الثامن عشر شهدت أوروبا بواكير نهضة شاملة على جميع المستويات، كان الجانب العلمي والأكاديمي من أبرز وجوهها، حيث أنشئت العديد من الجامعات وازداد عدد الطلبة باضطراد، ترافق ذلك كله مع تطور أسلوب التعليم الذي بدأ

نباشو القبور ..

ينسلخ تدريجيًّا عن طرز التفكير الخرافي الذي كان سائدًا في العصور الوسطى وراح يقترب شيئًا فشيئًا من المنهج العلمي الحديث القائم على التجربة والبرهان. وبالطبع فإن لكل نهضة علمية مستلزماتها واحتياجاتها الخاصة، فجامعات الطب مثلًا كانت بحاجة ماسة ومتزايدة للجثث البشرية لغايات التشريح، والمصدر الوحيد لتلك الجثث آنذاك كان يتمثل في أجساد القتلة والمجرمين الذين كانوا يشنقون في الساحات والميادين العامة ثم تنقل جثثهم إلى المعاهد والكليات الطبية للاستفادة منها في دروس التشريح. لكن أعداد المعدومين لم تكن تلبي الطلب المتزايد على الجثث، ففي إنجلترا القرن التاسع عشر مثلًا كان يعدم حوالي 55 شخصًا سنويًّا بينما كانت الحاجة الفعلية من الجثث للغايات الطبية تربو على الخمسمائة. وقد أسهم هذا النقص في ظهور تجارة سرية قائمة على بيع وشراء جثث الموتى. فكانت الأجساد تنبش وتسرق من المقابر لتباع بمبالغ مجزية لكليات الطب في لندن وأدنبره وغيرها من الحواضر الأوروبية، حتى وصل الأمر حدًّا أجبر معه سكان تلك المدن على الانخراط في حراسة مقابرهم وموتاهم.

الطريق إلى مكتب الطبيب نوكس

السجلات التاريخية تخبرنا بأن بطليّ قصتنا لم يكونا من المجرمين أرباب السوابق، لم يكن لديهما سجل جنائي وكانا يكدان لكسب لقمة العيش. ولعل الصدفة وحدها هي التي قادتهما ليكونا من أشقى السفاحين، أو بالأحرى هي التي كشفت عن معدنهما السيئ. الأمر برمته بدأ في يوم ما من عام 1828 حين مات أحد النزلاء في الفندق الذي كانت مارجريت زوجة هير تديره، الراحل كان ضابطًا متقاعدًا

بورك وهير صورة من جرائد القرن التاسع عشر

فـارق الحياة لأسـباب طبيعيـة، لكنه رحل إلى العـالم الآخر من دون أن يسـدد الجنيهات الأربعـة التـي كان يدين بها لمارجريت ولم يكن له ورثة يسـددون عنـه دينه. فخطرت لبورك وصديقه فكرة جهنمية، إذ كانا قد سـمعا قبلًا عن تجارة الجثث الرائجة في المدينة، وكانا يعلمان جيدًا بأنه كلما كانت الجثة حديثة ارتفع سـعرها؛ لذلك اشتريا تابوتا خشبيًّا رخيصًا ووضعًا داخله لحاء شـجرة ثم شـيعاه إلى الكنيسـة ودفناه أمام الناس وهما يذرفان دموع التماسيح حزنًا على الفقيد. أما الجثة الحقيقية فقد تعاونا على نقلها تحت جنح الظلام إلى جامعـة أدنـبره وعرضـا بيعها على أول شـخص قابلاه هنـاك والـذي كان طالبًا للطب أرشدهما مباشرة إلى مكتب الطبيب نوكس الذي اشترى الجثة مقابل سبعة جنيهات وشلنين كما أسلفنا.

يخنقان الضحية حتى الموت

سـهولة العمليـة وحـلاوة المبلغ الـذي حصلا عليه - سـبعة جنيهات إسـترلينية لم يكن مبلغًـا قليلًا آنذاك - دفعت الرجلان إلى التفكير مليا للحصول على المزيد من الجثث .. لكن كيف السـبيل إلى ذلك؟. وهنا أيضًا لعبت الصدفـة دورًا كبيرًا في مجريات الأمـور، فأحد النزلاء كان رجلًا مريضًا يدعى جوزيف الطحان، كان وحيدًا وبالكاد يستطيع دفع الإيجار؛ لذلك فكر بورك وهير في التخلص منه، تظاهرا بالاهتمام لأمره، وفي إحدى الليالي سقياه خمرًا حتى ثمل ثم قتلاه بطريقة مميزة ستصبح علامة فارقة لجرائمهم القادمة، حيث يقوم أحدهما بإمسـاك وتثبيت الضحية فيما يكمم الآخر أنفـه وفمه بكلتا يداه و يضغط بقوة حتى يختنق و يلفظ أنفاسـه. كانـت طريقة مروعة للقتـل، فلك أن تتخيل عزيـزي القارئ حجم العـذاب والألم والرعـب الذي كان يهـز كيان الضحية لدقائق قبل أن تغادر الروح جسـده. جثة جوزيف الطحان بيعت للطبيب نوكس بثمانية جنيهات.

جريمة قتل جوزيف الطحان فتحت شهية القاتلين لمزيد من الجرائم، نذكر منها:

- امرأة تدعى آبيغال سمبسون استدرجها الصديقان إلى النزل وسقياها خمرًا حد الثمالة ثم قاما بخنقها وباعا جثتها بعشرة جنيهات.

- امرأة استدرجتها مارجريت إلى النزل واحتالت عليها بنفس الطريقة، أي بسقيها الخمر، ثم استدعت زوجها وبورك ليقتلاها.

- امرأة سيئة السمعة تدعى ماري باتيرسون قابلها بورك في أحد أحياء أدنبره الشعبية ودعاها لتناول الإفطار في منزله ثم قتلها بمساعدة زوجته.

- متسولة تدعى إيفي حصل القاتلان على 10 جنيهات ثمنًا لجثتها.

- فتاة متشردة أنقذها بورك من الاعتقال على يد الشرطة بعد أن زعم بأنه يعرفها ثم اصطحبها إلى النزل لينتهي بها المطاف بعد ساعات قليلة جثة هامدة على طاولة التشريح في مكتب الطبيب نوكس.

- عجوز فقيرة مع حفيدها الأعمى، احتال القاتلان عليهما بوعد كاذب في تقديم الطعام لهما، قاما بقتل العجوز أولًا بالسم، ثم أمسك هير بعنق الطفل وكسره. الطبيب نوكس اشترى جثة العجوز وحفيدها مقابل 16 جنيهًا.

- امرأة أيرلندية من أقارب بورك.

- امرأة أيرلندية من أقارب هيلين زوجة بورك.

- سيدة قادها حظها السيئ للمبيت في نزل مارجريت، لم يكتفوا بقتلها بل قتلوا ابنتها أيضًا حين أتت تسأل عن أمها بعد عدة أشهر.

- معاق ذهنيًّا اسمه جيمس ويلسون ويلقب بـ «جيمي المجنون»، كان شخصية محببة ومعروفة ومميزا بمشيته العرجاء، استدرجه القاتلان ظنًا منهم بأنه صيد سهل، لكن الفتى ذا الثمانية عشر عاما قاومهما بشراسة أذهلتهما ولم يتمكنا من قتله إلا بصعوبة بالغة. ولاحقًا تسببت جثة جيمي بحرج كبير للطبيب نوكس، فعندما كشف الغطاء عن طاولة التشريح في مساء اليوم التالي ارتفع اللغط في أرجاء القاعة وصرخ بعض الطلبة قائلين بأن الجثة تعود لجيمي المجنون وطالبوا بإخبار والدته المسكينة التي كانت تجوب شوارع أدنبره بحثًا عنه، الطبيب نوكس رفض ذلك وقال إن الجثة تعود لمعاق ذهنيًّا آخر، لكن الاضطراب بدا واضحا عليه، وعلى غير عادته، ابتدأ درس ذلك اليوم بقطع الرأس وتشويه الوجه.

الجريمة الأخيرة

قاتلان تجردا من الرحمة

في صبيحة يوم الهالووين 31 تشرين الأول / أكتوبر عام 1828، جلس بورك يحتسي الخمر في إحدى الحانات حين تناهى إلى سمعه صوت امرأة تتحدث بلكنة أجنبية، بورك عرف في الحال بأنها أيرلندية فاقترب منها وبدأ يجاذبها أطراف الحديث، أخبرته بأن اسمها هو مارجوريدوشيرتي وأنها قادمة من بلدة صغيرة في شمال أيرلندا، فتظاهر بورك بالدهشة وزعم كاذبا بأن أمه تنتمي إلى عائلة دوشيرتي أيضًا وأن أصولها ترجع إلى تلك البلدة نفسها. والآن وقد تبين بأنهما أقارب أصر بورك على أن يستضيف السيدة دوشيرتي في منزله، وقد انطلت الحيلة على المرأة الساذجة بسهولة.

هيلين زوجة بورك استقبلت السيدة دوشيرتي بحفاوة بالغة وأصرت على أن تبيت ليلتها عندهم، الزوجان المخادعان أحكما نسج فخهما المميت لكنهما اصطدما بعقبة واحدة، ففي ذلك الوقت كان بورك قد أجر إحدى غرف منزله لزوجين هما آن وجيمس غراي، وقد انخرط هؤلاء في الحديث إلى السيدة دوشيرتي مما عرقل خطط بورك للاستفراد بها. لذا أخيرًا وبعد أن طفح كيله، طلب بورك من الزوجين غراي مغادرة المنزل والذهاب لقضاء الليلة في مكان آخر. وما أن غادرا حتى أرسل في طلب هير وقاما معًا بالإجهاز على المرأة.

حين عاد الزوجان غراي في صباح اليوم التالي ارتابا للاختفاء المفاجئ للسيدة دوشيرتي، وازدادت شكوكهما حين منعهما بورك من دخول الغرفة التي كانا يجلسان فيها ليلة البارحة حيث نست السيدة غراي جوار بها. لكن الزوجين استغلا فرصة مغادرة بورك للمنزل فتسللا إلى الغرفة ليعثرا على جثة السيدة دوشيرتي مخبأة تحت السرير. الزوجان عزما على أخبار الشرطة، لكنهما اصطدما عند الباب بهيلين التي لاحظت ارتباكهما فعلمت بأنهما شاهدا الجثة

وعرضت عليهما مبلغ 10 جنيهات أسبوعيًّا لقاء صمتهما، لكنهما رفضا العرض وأصرا على إبلاغ الشرطة.

في هذه الأثناء أسرع بورك وهير في رفع الجثة والذهاب بها إلى مكتب الطبيب نوكس. وحين وصلت الشرطة عند الظهيرة كانت الجثة قد اختفت من المنزل. لكن الجيران قالوا للشرطة بأنهم سمعوا صراخ امرأة صادر عن منزل بورك الليلة الماضية، كما لاحظ المحققون تناقضا في أقوال الزوجين، فبورك زعم بأن السيدة دوشيرتي غادرت المنزل عند الصباح بينما قالت زوجته بأنها غادرت مساء البارحة. الشرطة ارتابت في الأمر فاصطحبت الزوجين إلى المخفر، وهناك تقدم شخص مجهول الهوية بمعلومات مهمة قادت الشرطة إلى مكتب الطبيب نوكس، حيث تم العثور على جثة السيدة دوشيرتي التي كانت قد شرحت جزئيًّا لكن جيمس غراي تمكن من التعرف عليها فقامت الشرطة بإلقاء القبض رسميًّا على كل من بورك وهير وزوجتيهما بتهمة قتلها.

المحاكمة والإعدام

رغم العثور على جثة السيدة دوشيرتي إلا إن أدلة الشرطة ضد القاتلين لم تكن كافية لإدانتهما، لكن بما أن الجريمة الأخيرة حدثت في منزل بورك فإن المحققين رأوا أنهم يمتلكون فرصة أكبر لإدانته، وذلك بنظرهم كان أفضل من أن يفلت كلا القاتلين بجريمته؛ لذلك عرضوا البراءة على هير مقابل شهادته ضد بورك، وبالطبع وافق هير على العرض في الحال.

غصت ساحة الاعدام بالناس

المحاكمة لم تدم طويلًا، فشهادة هير المفصلة عن الجرائم أحكمت لف حبل المشنقة حول رقبة بورك، أما زوجته هيلين مكدوجال فقد تم تبرئتها لعدم كفاية الأدلة، وكذلك برأت

المحكمة ساحة كل من هير وزوجته، وبالنسبة للطبيب نوكس فلم يوجه له أي اتهام لأنه أنكر علمه بمصدر الجثث، لكن الكثيرين اعتبروه شريكًا في الجريمة.

عملية إعدام وليم بورك كانت من الأحداث التاريخية التي قلما شهدت أدنبره مثيلًا لها، إذ يقال بأن حوالي الأربعين ألف إنسان اجتمعوا لمشاهدة الحدث، بعضهم سهر ليلته بالقرب من منصة الإعدام ليحظى برؤية أفضل رغم برودة الجو والمطر، وكانت الساحة التي اختيرت لتنفيذ الحكم تغص بالناس من جميع المشارب والأجناس، لم تسعهم الأرض فامتلأت بهم نوافذ وسطوح المنازل المحيطة، حتى سيدات الطبقة النبيلة اللواتي قلما يشاهدهن العامة حضرن لمشاهدة الإعدام.

قناع جصي مأخوذ عن وجه بورك قبل وبعد الإعدام- قناع الموت-

وفي صبيحة يوم 28 كانون الثاني / يناير عام 1828 استلت المشنقة روح وليم بورك ترافقها لعنات الجماهير الغاضبة التي طالبت بتسليمها الجثة لتمزقها إربا إربا، لكن جسد بورك أنزل من المشنقة وحمل تحت حراسة مشددة إلى جامعة أدنبره لينتهي به المطاف عند نفس طاولة التشريح التي طالما تمددت فوقها جثث ضحاياه!.

ماذا حدث بعد ذلك؟

الجماهير الغاضبة أحاطت بجامعة أدنبره في مساء يوم الإعدام مطالبة بتسليمها جثة وليم يورك، ولتهدئة الحشود قامت الشرطة بعرض جثة بورك لفترة قصيرة عند بوابة الجامعة. كانت الجثة مشرحة وفي حالة يرثى لها، ولاحقًا تم قطع رأس بورك ليوضع في متحف الجامعة كما يقال بأن بعض الطلبة قاموا بسلخ ودبغ أجزاء من جلد بورك ثم غلفوا بها أحد الكتب المحفوظة في مكتبة الجامعة حتى اليوم!.

هيلين ماكدوغال أطلق سراحها ثم فرت من منزلها بعد أن هاجمته الحشود الغاضبة ويقال بأنها هاجرت إلى أستراليا.

وليم هير أطلق سراحه في إحدى ليالي شباط / فبراير عام 1829، الشرطة تركته عند

إحدى بوابات المدينة في ساعة متأخرة من الليل وذلك خشية أن تقوم الجماهير بقتله، وتلك كانت المرة الأخيرة التي شوهد فيها الرجل، يقال بأنه فر إلى لندن وانتهى به المطاف متسولًا في شوارعها. أما زوجته مارجريت فقد فرت هي الأخرى بعد أن هاجم الناس الغاضبون نزلها، ويقال إنها قفلت عائدة إلى بلدتها في أيرلندا.

الطبيب روبرت نوكس نال انتقادا لاذعا لتعامله مع القتلة، فالرجل وبرغم إصراره على عدم علمه بمصدر الجثث إلا إن سمعته وشهرته العلمية والاجتماعية تعرضت لضربة قاصمة، لذلك ترك أدنبره وانتقل إلى لندن حيث مات هناك عام 1862.

في عام 1832 أصدر برلمان المملكة المتحدة تشريع التشريح الذي ينظم عمليات حصول الجامعات والمؤسسات الطبية على الجثث البشرية لأغراض التشريح.

السينما تناولت قصة بورك وهير في عدة أفلام كان آخرها الفيلم الكوميدي البريطاني (Burke and Hare) من إنتاج عام 2010م.

فيلم بورك وهير إنتاج عام 2010م.

هذه القصة نشرت لأول مرة بالعربية في موقع كابوس بتاريخ 03 /01 /2011.

صور الأعمال الفنية على الحادثة

المصادر والمراجع

1) موقع كابوس، قسم: قتلة ومجرمين، العنوان: بورك وهير صائدا الجثث البشرية.

2) http://www.kabbos.com/index.php?darck=181

3) https://www.google.com.sa

الفصل الرابع

أبطال الحرب العالمية الثانية

١) روسيا البلشفية مرحلة الاتحاد السوفييتي
٢) ألمانيا النازية ألمانيا العظمى

الفصل الرابع

أبطال الحرب العالمية الثانية

روسيا ستالين (الاتحاد السوفييتي)

ستالين .. مع القزم الدموي .. نيكولاي يزوف

كانت رائحة الحجرة كريهة، جدرانها متآكلة وقذرة، وتخلو من الأثاث تمامًا. كان هناك مصباح يتيم ذو غطاء دائري يتدلى من السقف فتتركز إضاءته في منتصف الحجرة، بحيث تبقى الزوايا والأركان معتمة، وتحت المصباح مباشرة وقف مجموعة من الرجال بمعاطف سميكة داكنة وقبعات من الفرو، كانوا يشكلون بوقوفهم حلقة، وفي وسط تلك الحلقة وقف رجل

خمسيني يرتدي بزة عسكرية، كان رجلًا ذا بنية قوية وملامح قاسية وشارب هتلري مميز، لكنه بدا منهكًا ومتهالكًا، ومن حين لآخر كان يتطلع إلى الوجوه المحيطة به وقد علت محياه نظرة يائسة مستعطفة .. أجزم بأن من رأى ذلك الرجل في تلك الساعة لم يكن ليصدق بأنه أمام الرجل الذي تخشاه روسيا بأسرها، الرفيق جينريكياغودا، رئيس شرطة ستالين السرية الذي كان يتلذذ بتعذيب واغتصاب و إعدام ضحاياه بنفسه في أقبية المؤسسة الرهيبة التي يديرها، والذي أرسل ملايين الناس إلى معتقلات الجولاك المخيفة ليعلموا هناك بلا هوادة في شق طرقات وحفر قنوات تسمى باسم سيده.

جينريكياغودا

بين ليلة وضحاها جردوه من جميع مناصبه، لفقوا له تهمة الخيانة، حكموا عليه بالموت. فوقف يستمع إلى تلاوة الحكم وهو غير مصدق، رفع رأسه نحو ستارة حمراء تغطي شرفة عالية داخل قاعة المحكمة، صرخ بيأس قائلًا: «أناشدك أنت وحدك! .. أنت الذي من أجلك بنيت قناتين عظيمتين...» لكن مولاه الجالس خلف الستارة يدخن الغليون بصمت لم يأبه لتوسلات كلبه المطيع .. لقد انتهى دوره .. هناك اليوم كلب جديد، أكثر إخلاصًا وتفانيًا.

وها هو الآن يقف وسط تلك الحجرة القذرة المعتمة، منكس الرأس، متقطع الأنفاس، ينتظر نفس المصير الذي طالما أرسل إليه ضحاياه.

- «جردوه من ثيابه» .. أتى صوت أجش من ركن الحجرة المعتم، فانقض الرجال كالذئاب الجائعة على ياغودا، مزقوا ثيابه وتركوه عاريًا على الأرض وهو يجهش بالبكاء .

- «أضربوه» .. أتى الصوت مجددًا فانهال الرجال على ياغودا العاري بالضرب المبرح ولم يتركوه إلا وهو كتلة مشوهة من اللحم والدم.

أخيرًا ترك الرجل الواقف في العتمة مكانه واقترب ببطء من وسط الحجرة فبانت ملامحه

بالتدريج، إنه الرئيس الجديد للشرطة السرية، الرفيق نيكولاي يزوف. كان قزمًا هزيلًا، لكن سحنته الشيطانية كانت كفيلة ببث الرعب في القلوب. وقف لبرهة يتأمل الجسد الدامي ويتلذذ بسماع تأوهاته ثم أومأ برأسه للجلاد الشهير فاسيلي بولخين، فأخرج الرجل مسدسه ووضع رصاصة النهاية في رأس ياغودا.

الثورة تأكل أبناءها

ثورة أكتوبر الروسية عام 1917 تعد الحدث الأعظم خلال القرن العشرين، فالنتائج التي ترتبت عنها لم تؤثر على روسيا فقط، بل امتد تأثيرها ليشمل العالم بأسره. لكنها مثل أغلب الثورات، سرعان ما فقدت زخمها، ودبت الخلافات بين قادتها، وهو أمر تكرر عبر التاريخ في الكثير من الثورات.

ثورة أكتوبر الروسية ..غيرت وجه العالم في القرن العشرين ..

التنظير أمر سهل وممتع ورائع .. ما أحلى شعارات العدالة والمساواة الاجتماعية، إنها كالأفيون، تجعل الإنسان يسافر بخياله بعيدًا نحو عالم وردي لا وجود له، فيظن بأن تغيير السلطة الحاكمة سيعني تغيير كل شيء بين ليلة وضحاها .. سيختفي الفساد والظلم .. ستتحقق العدالة وتحترم

حقوق الإنسان .. ستنقرض الواسطة والمحسوبية والرشوة .. سيتحسن الاقتصاد ويعم الرخاء .. ستقسم ثروات البلاد بين السكان بالتساوي .. باختصار .. ستتلاشى جميع المشاكل.

لكن الزعماء الجدد المدججين بالشعارات الثورية والكلام النظري سرعان ما يكتشفون بأن عملية إدارة دولة ليست بالأمر السهل كما قد تبدو في أحلام اليقظة .. فنحن جميعًا نحلم أحيانًا بأن نحكم ونسوس، وقد نحدث أنفسنا بأننا سنفعل كذا وكذا وسنصلح ونعدل ونساوي إلخ .. لكنها مجرد أوهام .. جرب أن تدير فصلًا من ثلاثين طالبًا لساعة واحدة وسترى كم هو أمر صعب ومرهق أن تفرض رأيك واحترامك على مجموعة من الأطفال .. فما بالك بإدارة أمة من ملايين الناس، خصوصًا في دول تفتقر إلى العمل المؤسساتي والبنى التحتية والكوادر اللازمة للنهوض. وعليه فإن معظم التجارب الثورية لم تأتِ بالثمار التي توقعها الناس منها، فإعادة الأمن والنظام والخدمات وتدوير الاقتصاد من جديد هي مهمة في غاية الصعوبة .. غالبا ما يفشل فيها الثوار بامتياز لانعدام الخبرة، ولتبرير الفشل في تحسين حياة المواطن وتحقيق الوعود العسلية فإن القادة الثوريين غالبا ما يعمدون إلى إلقاء اللوم على الخيانات والمؤامرات والأعداء الذين يضعون العصي في دولاب الثورة لإجهاضها، أحيانا يمضون أبعد من ذلك إلى درجة اختراع أعداء ومتآمرين. فتبدأ الاعتقالات والتصفيات والاغتيالات وتمتد بسرعة لتشمل الأبرياء، وهكذا فإن النظام الجديد سرعان ما يعود فيستنسخ نفس أساليب النظام القديم، أي ذات الأساليب التي ثار عليها بالمقام الأول!.

حدث مثل هذا في الثورة الفرنسية، فنابليون سيطر على الثورة بعد أن أرسل روبسبير أغلب رجالاتها وقادتها إلى شفرة المقصلة في طوابير طويلة. والطريف أن الثورة الفرنسية التي قامت أساسًا ضد الملكية عادت بعد سنوات قليلة لتتوج نابليون إمبراطورًا! .. والأمر ذاته تكرر مع الثورة الروسية، صحيح أن النظام الجديد لم يعد إلى الملكية، لكن بعد موت لينين عام 1924 سرعان ما بدأت الثورة تأكل أبناءها، وبنهاية عقد الثلاثينيات فإن أغلب رفاق لينين في اللجنة المركزية للحزب، أي الرجال الذين فجروا الثورة وقادوها، كانوا قد لقوا حتفهم إما اغتيالا أو إعداما بتهم شتى .. أولها الخيانة .. وهكذا عادت الديكتاتورية للبلاد بثوب جديد .. أصبح ستالين القائد الأوحد .. قيصر روسيا الجديد .. لكنه غير متوج.

جنون العظمة

ستالين المتعطش للسلطة كان مصابا بجنون العظمة، يرتاب في كل من حوله. وقد تعمق لديه هذا الشعور بالريبة بعد أن منيت خططه في إدارة الدولة بالفشل في بداية عهده، خصوصا مشروع المزارع التعاونية، ولهذا شرع بتصفية و إزاحة جميع خصومه في الحزب والجيش وكل من يشك في ولائه إليه، شمل ذلك معظم الرفاق القدامى من أعضاء اللجنة المركزية للحزب .. نيكولاي بوخارين، ليف كامنف، أليكسي ريكوف، ميخائيل تومسكي، جريجوريز ينوفايف وغيرهم .. إذ جرى تجريدهم من مناصبهم ثم طردوا من الحزب وأدينوا في محاكمات صورية بثتها الإذاعة السوفييتية على الهواء وأعدموا جميعا رميًّا بالرصاص. حتى عائلاتهم لم تسلم من التنكيل، فتم إعدام أبنائهم وأرسلت زوجاتهم إلى معتقلات الجولاك الرهيبة.

الرفاق القدامى .. باستثناء لينين وستالين جميعهم أعدموا أو اغتيلوا ..

حتى ليون تروتسكي، أعظم منظري الحزب الشيوعي ومؤسس الجيش الأحمر والرجل الذي كان مرشحا لخلافة لينين .. حتى هو لم ينجُ من المجزرة، لحقت به شرطة ستالين السرية إلى منفاه في المكسيك فاغتالوه هناك عام 1940م.

المارشال توخاجفسكي.. زوجته أرسلت للمعتقل ..

ولم يقتصر الأمر على السياسيين، فالكثير من الضباط الكبار لاقوا المصير نفسه، المارشال ميخائيل توخاجفسكي، قائد الجيش الأحمر جرى اعتقاله بإشراف رئيس الشرطة السرية نيكولاي يزوف، قاموا بتعذيبه بشدة لإجباره على توقيع اعترافات كاذبة، حتى إن ورقة اعترافاته كانت ملطخة بالدماء، وحين وقف لاحقًا أمام المحكمة العسكرية المكونة من ضباط تحت أمرته قال: «اشعر كأني أحلم» .. ولم يكتفوا بإعدامه، إذ أرسلوا شقيقاته وزوجته وابنته إلى الجولاك، وأعدموا أشقاءه.

المفارقة أنه بعد مدة قصيرة على إعدام توخاجفسكي تم إعدام خمسة من الضباط الكبار الذين كانوا قضاة محاكمته!.

وبنظر البعض فإن تلك الإعدامات التي طالت آلاف الضباط أضعفت الجيش الأحمر وأوهنت عزيمته وكانت سببًا في الهزائم المنكرة التي تلقاها من الرايخ الثالث في بداية الاجتياح الألماني للاتحاد السوفييتي عام 1941م.

الجولاك

التطهير الأعظم الذي ابتدعه ستالين للتخلص من خصومه امتد لاحقًا ليشمل الملايين من المواطنين العاديين، مدن وبلدات كاملة أجبر سكانها على الرحيل إلى أماكن نائية وموحشة، هذا التهجير القسري طال ستة ملايين إنسان من قوميات وفئات كان ينظر إليها على أنها معادية للحكم السوفييتي مثل ألمان الفولغا والقوزاقوالكولاك والتتار والابخاز والشيشانيين واليونانيين والكوريين وغيرهم من الأقليات، وقد مات نصفهم بعد سنوات قليلة جراء المرض والجوع. أما أعظم المحن التي عرفتها الشعوب السوفييتية فقد تمثلت في الـ جولاك (Gulag)،

هؤلاء الرجال شيدوا روسيا مجانا ..

أي معسكرات العمل الإجباري، فحوالي 18 مليون إنسان دخلوا تلك المعسكرات بين عامي 1918 - 1960، والملايين منهم لم يغادروها أبدا.

نزلاء هذه المعتقلات كانوا من خلفيات ومشارب شتى .. لصوص وقتلة .. مختلسين ومقامرين .. أسرى حرب .. رهبان ورجال دين .. مثليين جنسيين .. معتقلين سياسيين. وهذه الفئة الأخيرة لم تكن بالضرورة تشمل أناسًا ذوي نشاط سياسي، فمصطلح معتقل سياسي كان فضفاضًا جدًّا في زمن السوفييت، كان يشمل أناسا لا علاقة لهم بالنشاط السياسي من قريب أو بعيد. فمثلا أي انتقاد للدولة، حتى لو كان مجرد مزحة بريئة، يمكن أن يؤدي للاعتقال. كما أن أقرباء السياسيين الذي جرى اعتقالهم أو إعدامهم كانوا يعتبرون من أعداء للدولة أيضًا حتى لو لم يكن لهم أي نشاط سياسي. فمثلا زوجة القيادي في الحزب نيكولاي بوخارين أرسلت إلى الجولاك بعد إعدامه. أما القيادي ليف كامنف فقد أعدمت زوجته مع 160 شخصًا آخر رميًا بالرصاص في غابة ميديفيدف وجرى إعدام اثنين من أبنائه وأرسل الثالث إلى الجولاك. زوجة تروتسكي الأولى ألكساندرا سوكولوفسكي أرسلت هي الأخرى إلى الجولاك ولم يرها أحد بعد ذلك، أما ابنه فقد أعدم وتم إرسال زوجته وعائلتها إلى الجولاك.

العمل في المعتقل كان قسريًّا، طوال أيام السنة، لأكثر من 12 ساعة يوميًّا، وفي أعمال شتى، كقطع الخشب والتعدين والحفر والبناء والنقل إلخ. كان على جميع المعتقلين أن يعملوا بغض النظر عن جنسهم وعمرهم ولياقتهم والظروف الجوية القاسية المحيطة بهم. وفي المساء كانوا يحشرون في أكواخ وثكنات قذرة، ينامون على رفوف خشبية ومعظمهم جائع يرتجف من البرد.

توزعت في أماكن نائية وقاسية ..

كان المسؤولون عن هذه المعتقلات يتنافسون في تقديم أفضل إنتاجية بأقل كلفة، يجري هذا طبعا على حساب المعتقلين، فكانت تقدم لهم الثياب الخفيفة التي لا تقي البرد لكي يجبروا على تدفئة أنفسهم بالعمل، وكان الطعام رديئا ضئيلا لا يغني عن جوع، يقتصر غالبا على خبز الشعير الأسود مع القليل من الحساء. ولا تقدم لهم سوى قطعة صغيرة من الصابون كل شهر ولا يسمح لهم بالاغتسال إلا نادرا. كانت الظروف الصحية فظيعة، لم يكن هناك صرف صحي، مما تسبب بالكثير من الأمراض. وكانت نسبة الجريمة والرذيلة عالية، فالكثير من المعتقلين السياسيين والناس الأبرياء كانوا يتعرضون للابتزاز، وأحيانًا الاغتصاب والقتل، من قبل المعتقلين ذوي السوابق الإجرامية.

تعرض للقتل لأنه لم يتنازل عن حصته من الطعام لأحد المعتقلين المجرمين ..

النساء شكلن قرابة عشرة بالمائة من مجموع نزلاء الجولاك، كن يتعرضن لشتى صنوف المهانة منذ أن تطأ أقدامهن أرض المعتقل،

يجبرن على التجرد من ملابسهن والاستحمام أمام الحرس. كن يرخين شعورهن على وجوههن من شدة الخجل، فنحن نتكلم هنا عن أمهات وربات منازل ومعلمات وطالبات جامعيات وراهبات إلخ .. أغلبهن لم يقدمن على أي جرم، اعتقلن بسبب نشاط أقاربهن السياسي. وكان يجري اغتصابهن بشكل دوري، أحيانا بشكل جماعي حتى الموت. والبعض منهن حملن وأنجبن داخل المعتقل، وكان أغلب الأطفال يموتون بسن مبكرة جراء ظروف المعتقل السيئة، أما أولئك الذين تكتب لهم النجاة فكانوا يأخذون من أمهاتهم بعمر عامين و ينقلون إلى ملاجئ خاصة، كانوا يحرصون على تغيير اسم الطفل بحيث لا تعثر عليه أمه أبدًا حتى لو تم إطلاق سراحها من المعتقل.

شهادات من داخل الجولاك:

قد تكون شهادات الناس الذين مروا وعاشوا في الجولاك هي الوسيلة الأفضل لفهم طبيعة ما جرى هناك من فظائع ..

ليف رازغون كان متزوجًا من ابنة ضابط في الشرطة السرية، كانت حياته رغيدة، لكن فجأة تبدل كل شيء بعد إعدام والد زوجته في أثناء التطهير الأعظم عام 1937. تم اعتقال ليف وزوجته، ومن حسن الحظ ماتت الزوجة قبل أن يتم إرسالها إلى المعتقل، أما ليف فقد أمضى 18 عامًا من عمره هناك، يصف جانبًا من تجربته قائلًا:

« كنا 517 معتقلًا ضمن وجبة موسكو عندما وصلنا إلى المعتقل في أغسطس 1938 .. بحلول الربيع لم يكن قد تبقى منا سوى 27، الآخرون جميعهم ماتوا. وفي نوفمبر عام 1938 تم جلب 270 بدويًّا صينيًّا، كانوا قد ضلوا طريقهم فعبروا الحدود الروسية من دون قصد، وقد جعلهم مدير المعتقل يعملون في نقل جذوع الأخشاب بأيديهم العارية فقط،

لم يتبق منا سوى 27 رجلًا ..

وهو عمل لم نكن نحن لنستطيع الصمود فيه لأكثر من أسبوع، لكن الصينيين عملوا بثبات وبهدوء، بعد كل يوم عمل كانوا يعودون إلى ثكناتهم التي حافظوا على نظافتها وكانوا يقضون المساء في ترقيع ملابسهم، وبحلول فبراير، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من وصولهم، لم يكن قد بقي منهم على قيد الحياة سوى رجل واحد، تم تحويله للعمل في المطبخ».

أيلينا جلينكا، 29 عاما، كانت تدرس الهندسة في الجامعة عندما لفقت لها تهمة الخيانة والقي القبض عليها. أمضت ستة أعوام في معتقل رهيب يقع في قرية صيادين نائية في شبه جزيرة كوليما إلى أقصى الشرق الروسي حيث تصل درجة الحرارة أحيانا إلى 38 درجة تحت الصفر. كانت شاهدة حية على عملية اغتصاب جماعي رهيبة. من حسن حظها تم اختيارها لتكون من حصة مدير المعتقل لأنها كانت أكثر النساء شبابا، ولهذا نجت من تلك التجربة المميتة التي تصفها قائلة:

«نساء في المعتقل ! .. انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم فتقاطر الرجال من كل صوب وحدب نحو بهو القرية الكبير، بعضهم أتوا سيرا على الأقدام، بعضهم بالدراجات النارية. كان فيهم صيادو سمك وجيولوجيون وتجار فراء وعمال مناجم وحتى مجرمون مدانون.

تم رمي التبغ والخبز وحتى سمك السلمون النيئ للنساء المنهكات جراء رحلة يومين في عرض البحر، فابتلعن الطعام حتى من دون مضغ من شدة جوعهن. ثم فتح الرجال زجاجات الخمر، وبتنسيق دقيق، كأنما ينفذون خطة، تراجعوا جميعهم وراحوا يقدمون كؤوس الفودكا للحراس، أخذوا يغنون ويعربدون وتبادلوا الأنخاب، استمر ذلك حتى سقط الحراس واحدًا بعد الآخر من شدة السكر .

نساء في المعتقل ! .. صراخ الرجال ..

وما أن سـقط الحراس حتى أخذ الرجال يهتفون و يهللون كالمجانين، دخلوا على النساء، قيدوا أيديهن ثم سحلوهن فوق العشب إلى داخل المبنى، وانهالوا بالضرب المبرح على أي واحدة منهـن تبدي مقاومة. كانوا يعرفون جيدا مـاذا يفعلون، الكراسي نحيت جانبا، النوافذ أغلقت بالمسـامير، تم إدخال براميل من المياه. وعندما انتهوا من التحضيرات فرشـوا الأرض بجميع ما تحت أيديهم من خرق وبطانيات وسترات، ثم ألقوا النساء فوقها، وفي الحال تشكل صف من 12 رجلًا أمام كل امرأة وبدأ الاغتصاب الجماعي .. كانوا يسمون هذه العملية - ترام كوليما - ! .

أخيرًا عندما وصل الصف إلى نهايته جرى سـحب النسـاء الميتـات من أقدامهن وألقين في الخـارج، أما من بقين على قيد الحياة فجرى إنعاشـهن مجددا برمي الماء عليهن من البراميل، وما أن استعدن وعيهن حتى تشكل صف الرجال أمامهن من جديد».

لم تكن النسـاء وحدهن هن من يتعرض للاغتصاب داخل المعتقل، فالمثلية الجنسـية كانت متفشـية بين الرجال، حتى أولئك الرجال ذوي الميول الجنسـية الطبيعية كانوا يتحولون إلى مثليين أحيانـا في تلك البيئة القاسـية التي يتحول فيها الناس تدرجيًّـا إلى حيوانات. كان الاغتصاب أمرًا عاديًا، قد يتعرض رجل للاغتصاب جراء خسارته لعبة ورق، وقد يتعرض لاغتصاب إذا سرق قطعة خبز، وقد يتعرض للاغتصاب إذا لم يتنازل عن حصته من الطعام لعصابات المعتقل الإجرامية.

المعتقل فاليري كليموف يروي لنا جانبا من تلك الفظائع قائلا :

هذه صور رسمها معتقلون سابقون .. مشهد قتل معتقل على يد زملائه ..

« كنت قادرا على حماية نفسي، لكـني شـاهدت بـأم عيـني عشرة حوادث قتل لرجـال مثليين. كان هناك 100 معتقل في ثكنتنا، وكان هنـاك رجـل يتعـرض للاغتصاب مـن ثـلاث إلى أربع مـرات يوميًّا، وبعـد أن ينتهو منه كانوا يركلونه ويجـبروه على النوم تحـت الأسرة، كان أمرًا فظيعًا، مثل كابوس. وفي

إحدى الليالي تناوب على اغتصابه عشرة رجال ثم أخذوا يقفزون على رأسه. لقد كدت أن أجن هناك، امتلأ رأسي بالشيب، كان الناس يفقدون سلامتهم العقلية، وبعضهم لا يستعيدونها أبدًا حتى بعد مغادرتهم للمعتقل. المثلية الجنسية متفشية على جميع المستويات في المعتقل، ليس المعتقلين هم الذين يمارسونها فقط، بل حتى الحراس وموظفي السجن يفعلون».

أحيانًا نتائج الاغتصاب، بالنسبة للنساء، تكون أكثر إيلامًا من الاغتصاب نفسه، هافا فولوفيتش، كانت محررة صحفية، اعتقلت عام 1937 وأرسلت إلى الجولاك بسبب انتقادها لمشروع المزارع التعاونية في أوكرانيا. عاشت في المعتقل لمدة 16 عامًا وأصبحت واحدة من آلاف النساء اللواتي حملن سفاحا داخل المعتقل، أنجبت طفلة جميلة أسمتها إلينور، تقول عن تجربتها:

« كان هناك ثلاث أمهات في ثكنتنا، وتم إعطاؤنا غرفة صغيرة خاصة بنا، كنا نسهر الليل نبعد البق المتساقط من السقف كالرمل عن أطفالنا، وفي النهار كنا نذهب للعمل فنتركهم مع امرأة عجوز مقعدة .

في كل ليلة لمدة عام كنت أقف فوق مهد طفلتي أبعد البق عنها وأصلي، أتوسل إلى الله أن يطيل عذابي هذا لألف عام إذا كان معناه ألا افترق عن طفلتي .

الصحفية هافا فولوفيتش .. فقدت ابنتها في المعتقل .. وألفت عدة كتب عن تجربتها في الجولاك لاحقا في الستينيات ..

لكن الله لم يستجب لدعائي، فما كادت إلينور تمشي أول خطواتها وتنطق أولى كلماتها.. ماما.. حتى ألبسونا خرقا من الثياب رغم برودة الجو ثم وضعونا في سيارة شحن ونقلنا إلى المعتقل الرئيسي. هناك كان متوقعًا أن أعمل

في قطع الأشجار في الغابة بينما كنت أترك ملاكي الصغير ذا الخصل الذهبية في ملجأ أطفال المعتقل. وسرعان ما تحولت طفلتي إلى شبح شاحب مع خيال أزرق يظلل عينيها وبثور مؤلمة تغطي شفتيها .

لفم أفهم سبب شحوب وذبول ابنتي حتى أصبت ذات يوم بالتهاب في المثانة وألم رهيب في الظهر، فأعفوني من العمل ذلك اليوم، ومقابل حزمة من الحطب قدمتها للحراس كرشوة سمحوا لي أن أختلس النظر إلى طفلتي من نافذة الملجأ .. وليتني لم أفعل ! .

لقد رأيت الممرضات يدفعن و يركلن الأطفال من أسرتهم ثم يقمن بغسلهم بالماء المثلج، ورأيت ممرضة تمسك بأقرب طفل أليها، تلوي ذراعه، ثم تدفع ملعقة بعد أخرى من العصيدة الملتهبة إلى داخل في فمه. كانوا يقتلوهم بالتدريج ..

صغيرتي إلينور بدأت تذبل بسرعة .. «ماما، أريد العودة للمنزل» .. قالت وهي تبكي في إحدى الليالي، جسدها الصغير كان مغطى بكدمات غامضة. وفي اليوم الأخير من حياتها، عندما وضعتها على صدري لإرضاعها، نظرت بعينيها الواسعتين بعيدًا، أشاحت بفمها عن صدري وتوسلت أن أضعها أرضًا.

في المساء التالي، عندما عدت من عملي مع حزمة صغيرة من الحطب، كان سريرها فارغا، عثرت على جثتها العارية في المشرحة مع جثث السجناء البالغين. لقد أمضت سنة وأربعة أشهر في هذا العالم ورحلت في 3 مارس 1944م».

القزم الدموي .. من القاع إلى القمة

كانت لدى ستالين أدواته الخاصة التي استعملها في إنشاء إمبراطورية الرعب التي تربع على عرشها، رجال لا يحكمهم أي ضمير أو وازع أخلاقي، كانوا هم المسئولين عن التعذيب والإعدامات والاغتيالات و إدارة المعتقلات، وكانوا يتنافسون فيما بينهم في القسوة والنذالة. أحدهم هو ذلك القزم الذي تكلمنا عنه في بداية المقال، نيكولاي يزوف، رئيس شرطة ستالين السرية، والذي كان يعرف باسم «القزم الدموي» لكونه الأفظع والأقسى والأكثر تفانيًّا في تحقيق أغراض سيده ..

فمن يكون يا ترى؟ .. وكيف وصل رجل بضآلته إلى هذا المنصب الخطير؟.

كان مساعد خياط .. وأصبح رئيس الشرطة السرية ..

بحسب الوثائق الرسمية السوفييتية فإن نيكولاي إيفانوفيتش يزوف ولد عام 1895 في سانت بطرسبرغ. لكن هناك مصادر تشير إلى أنه ولد في بلدة صغيرة في لتوانيا يغلب على سكانها اليهود. كانت عائلته فقيرة، لم يكمل سوى تعليمه الابتدائي، عمل مساعد خياط، ثم عاملًا في مصنع، ثم تطوع في الجيش القيصري الروسي عام 1915 وانضم للبلاشفة (3) عام 1917 قبل نشوب ثورة أكتوبر بستة أشهر.

كان إنسانًا وصوليًّا، داهية ماكر، وصفه عضو سابق في الحزب بالآتي:

« في كل حياتي الطويلة، لم يسبق أن التقيت بشخصية أكثر بغضًا من يزوف، كان يذكرني بشكل لا يقاوم بالأولاد الأشرار الذين يلعبون على ناصية شارع رستراييفا، والذين كانت هوايتهم المفضلة هي ربط قطعة من الورق المنقوع بالكيروسين إلى ذيل قطة و إشعال النار فيه، ثم كانوا يقفون يراقبون بفرح كيف يتخبط الحيوان المسكين محاولًا بيأس ومن دون جدوى أن يهرب من النار المقتربة من جسده. أنا لا أشك في يزوف كان في طفولته يسلي نفسه على نفس تلك الشاكلة، وهو مستمر في فعل ذلك الآن بطرق مختلفة».

رجل ستالين المفضل ..

في الحقيقة كان يزوف مجرمًا بامتياز، وكان ستالين بحاجة إلى رجل مثله في تلك الحقبة، فرئيس الشرطة السرية آنذاك، جينريكياغودا، كان بطيئًا في تنفيذ أوامر ستالين الدموية ..

ياغودا قتل ربع مليون إنسان.. ياله من رقم تافه! .. أنا سأحصد الملايين.. هكذا قال يزوف..

وفي طليعة هؤلاء الملايين كان ياغودا نفسه، إذ قام يزوف بمساعدة بعض عملائه في الشرطة السرية بدس كمية من الزئبق في مكتب ياغودا، ثم زعم بأن هذا الزئبق كان سيستعمل في مؤامرة من أجل تسميم ستالين، وتحت التعذيب جرى إجبار ياغودا على الاعتراف بأنه يعمل لصالح الألمان، فحوكم واعدم بسرعة بأشراف من يزوف نفسه .

ياغودا لم يكن إنسانًا شريفًا، كان نذلًا، كان يستمتع باغتصاب النساء والفتيات الصغيرات، عثروا في بيته على 14 فيلمًا يصور اغتصابه لضحاياه، إضافة لآلاف الصور الإباحية التي التقطها بنفسه. لكنه لم يكن يوازي يزوف في القسوة والمكر، كان يزوف فنانًا في تعذيب الناس وقطاف الرؤوس بالجملة، بلغ أعداد المعدومين والمعتقلين في عهده رقمًا قياسيًّا لن يبزه فيه أي رئيس شرطة آخر في تاريخ الاتحاد السوفييتي. وفي عهده انتشرت وراجت الوشايات والتقارير الكيدية .. أصبح الناس يخافون التحدث في السياسة حتى في منازلهم .. «فالحيطان لها أذان» ..

وفي عهده جرى تنظيف الحزب والجيش من جميع من يشك في ولائهم لستالين .. بلغ عدد ضحاياه مليون وربع إنسان، نصفهم قتلوا رميًّا بالرصاص، بينما النصف الآخر لقي حتفه في المعتقلات.

ملصق داعية روسي يظهر يزوف يسحق رأس أفعى .. أي أعداء الشعب ..

لكن يزوف لم يكن سوى أداة، المجرم الحقيقي كان ستالين نفسه .. فالذي يظن بأن يزوف وياغودا وغيرهم من جلاوزة ستالين كانوا يتصرفون من تلقاء أنفسهم هو واهم، الحقيقة هي أن كل ما حدث كان بعلم ستالين، فمثلا بين عامي 1937 - 1938 وقع ستالين 357 مرسومًا بإعدام قرابة 40 ألف إنسان. وفي إحدى المرات نظر إلى قائمة طويلة بأسماء المحكومين وقال:

«من سيذكر جميع هؤلاء الحثالات بعد عشرة أو عشرين عاما .. لا أحد .. من يتذكر الآن أسماء البوياري الذين تخلص منهم إيفان الرهيب .. لا أحد» .

وللأسف كان غالبية من أعدموا أو أرسلوا إلى المعتقلات أبرياء، يزوف نفسه اعترف بذلك في اجتماع للحزب فقال:

«من الأفضل أن يتعذب عشرة أبرياء على أن يفلت جاسوس واحد. عندما تقطع الخشب، ستتطاير بعض الرقائق حتما» .

يا له من منطق ! .. ولن يطول الوقت حتى يتطاير يزوف نفسه مع المتطايرين ..

السقوط

والد الأمة .. ما كان ليقتل أبناءه ! ..

بعد أن انتهى ستالين من تطهيره الأعظم وتخلص من جميع أعدائه ومنافسيه في الحزب والجيش ونشر الرهبة والخوف في عموم الاتحاد السوفييتي، لم تعد هناك حاجة لقسوة يزوف المفرطة، فقرر التخلص منه، وبهذه الطريقة كان سيضرب عصفورين بحجر واحد، فمن جهة سيصبح بإمكانه أن يزعم بأن جميع الجرائم التي اقترفها يزوف كانت من دون علمه وبأن «أب الشعب» ما كان ليفعل مثل هذه الأمور الفظيعة بأبنائه، ومن جهة أخرى كان سيتخلص من الرجل الذي أصبح يعرف أسرارًا أكثر من اللازم .. أسرار يجب كتمها إلى الأبد .. وفوق كل هذا فإن ستالين، مثل جميع الطغاة، كان يكره أن يبرز شخص آخر غيره في البلاد، حتى ولو على مستوى القسوة والنذالة.

في أواخر عام 1938 شرع ستالين بتجريد يزوف من قوته، في البداية سلمه منصب جديد،

رئيس مفوضية الشعب للنقل المائي، كان ستالين يهدف من ذلك إلى إشغال يزوف بأمور أخرى فترتخي قبضته الحديدية على الشرطة السرية مما يسهل القضاء عليه. ولعب القدر دورًا كبيرًا في تسريع نهاية يزوف واختيار خليفته، إذ كان يزوف قد أصدر أمرًا باعتقال لافرينتيبيريا عضو اللجنة المركزية للحزب عن جورجيا، لكن قبل إلقاء القبض عليه تلقى بيريا تحذيرًا من رئيس فرع الشرطة السرية في جورجيا فهرب إلى موسكو حيث قابل ستالين وطلب حمايته مذكرا إياه بمساهمته في تصفية أعداء الحزب في جورجيا، ويبدو بأن الرجل قد نال إعجاب ستالين، وهكذا فأنه بدل أن يرسله إلى الموت عينه كنائب ليزوف، وشرع بيريا حال تعيينه بأبعاد وإقصاء جميع الموالين ليزوف داخل الشرطة السرية.

زوجة يزوف مع ابنته المتبناة والتي كان والداها من ضحايا الجولاك ..

يزوف نفسه، الخبير بأساليب ستالين، لم يكن غافلًا عما يحاك له، كان يعلم جيدًا بأن نهايته قد دنت، فأهمل عمله وراح يقضي أغلب أوقاته بمعاقرة الخمر، الأمر الذي أعطى حجة إضافية لتدميره. وزاد الطين بلة انتحار زوجته يوفيغينيا في 19 نوفمبر 1939، ويقال إنها قتلت على يد يزوف نفسه بعد أن ضاق ذرعا بعشاقها الكثيرين الذين كانوا يترددون عليها. وبعد أسبوع على مقتلها طلب يزوف إعفاءه من رئاسة الشرطة السرية، وهو أجراء شكلي، فعمليًّا لم تكن له أية سلطة، وتم تعيين بيريا مكانه على الفور.

وفي 13 مارس عام 1939 تم إعفاؤه من منصبه في اللجنة المركزية للحزب، ولاحقًا من ذلك العام أصبح عاطلا عن العمل بعد إلغاء مفوضية الشعب للنقل المائي بأمر من ستالين.

وفي 10 أبريل عام 1939 تم إلقاء القبض على يزوف أخيرًا، وأخفى خبر اعتقاله عن أغلب ضباط الشرطة السرية، ستالين أراد أن تتم عملية التخلص بهدوء وسرية تامة.

لافرينتيبيريا ..

تحت التعذيب اعترف يزوف سريعًا بكل ما أردوا منه أن يوقع عليه.. خيانة.. اختلاس.. تآمر .. مثلية جنسية - هذه التهمة كانت حقيقية - .. باختصار جميع ما يكفل إعلانه «عدوًا للشعب». ومثل سلفه ياغودا، وقف يزوف أمام محكمة الشعب مترنمًا بمحبة ستالين، صرخ في قاعة المحكمة قائلًا بأن اسم ستالين «سيبقى على شفتي حتى أخر لحظة من حياتي» .. لكن هذا التملق كان قد أصبح من دون جدوى .. فالحكم عليه كان قد صدر حتى قبل أن ينطق به قضاة المحكمة.. وهكذا حكموا عليه بالإعدام، وما أن سمع الحكم حتى خارت قواه وكاد يسقط أرضًا لولا أن تلقفه الحراس وحملوه إلى زنزانته.

في يوم تنفيذ الحكم كان يزوف مرعوبًا وخائر القوى، ربما تذكر كل أولئك الذين أرسلهم إلى ذات المصير؟..

أخذه ضباط الشرطة السرية إلى نفس تلك الحجرة الكريهة التي أشرف هو فيها على إعدام ياغودا قبل عامين. لكنه كان أقل شكيمة وصمودا من ياغودا، راح يصرخ ويتوسل، وطفق يذكر الرجال المحيطين به بأياديه البيضاء عليهم حين كان رئيسهم..

لكن كل ذلك كان بلا فائدة..

وجاء صوت من أقصى الحجرة .. «انزعوا عنه ثيابه».. فجردوه من ثيابه .. ثم جاء الصوت ثانية .. «اضربوه».. فانهالوا عليه بالضرب المبرح حتى تركوه بين الحياة والموت ممددا على الأرض يبصق الدم من فمه ويبكي كالنساء .. ثم اقترب الرجل الواقف في ركن الحجرة المعتم وبانت ملامحه .. إنه بيريا .. الرئيس الجديد للشرطة السرية، الذي كان يضمر ليزوف كرهًا شديدًا، أومأ إلى الجلاد المخضرم، فاسيلي بولخين، فاخرج هذا الأخير مسدسه وأجهز على القزم الدموي برصاصة في رأسه.

مسحوه من الصور ..

انتهى عصر يزوف .. مسحوا اسمه ومحوا ذكره من جميع السجلات، رفعوا صورته من معظم الصور الفوتوغرافية التي تجمعه بستالين، كأنه لم يكن يوما ذلك الرجل الذي فضله القائد على جميع الرجال ..

أزف عصر بيريا .. الذي قام في بداية عهده، بأمر من ستالين، بإطلاق سراح عشرة آلاف معتقل، كأنه يريد أن يقول بأن ما حدث في زمان يزوف لم يكن بعلم وقبول القيادة السوفييتية. لكن رقة بيريا لن تدوم طويلًا، فالحرب على الأبواب، والنازي يستعد لاجتياح روسيا، وقريبا سيرسل بيريا الملايين إلى المعتقلات من جديد بتهمة الخيانة، وستهجر شعوب كاملة من موطنها بتهمة تعاطفها مع الألمان، وسيعدم عشرات الآلاف ويدفنون في مقابر جماعية في الغابات والأماكن النائية .

بيريا سيصبح نسخة جديدة من ياغودا ويزوف، سيدور مع زبانيته في شوارع موسكو، سيشير بيده إلى أي فتاة أو امرأة تعجبه، سيأخذها بالقوة إلى قصره فيغتصبها، وستحصل كل امرأة مغتصبة على وردة بيضاء يقدمها لها حرس بيريا عند مغادرتها لمنزله، أما من تقاوم فسينتهي بها المطاف إلى الجولاك ولن يسمع عنها أحد مجددا .

لكن لكل شيء نهاية ..

في 1 مارس 1953 عثر الحراس على ستالين في غرفته وهو ممدد على الأرض فاقدا وعيه وغارقا في بوله، أصيب بسكتة، وفارق الحياة بعد أربعة أيام، ولن يطول الأمر حتى يتبرأ السوفييت من ديكتاتورية وأساليب ستالين، حيث إن الحاكم الجديد للاتحاد السوفييتي، نيكيتا خروتشوف، سيشن هجوما لاذعا على سياسات ستالين وديكتاتوريته، وسيعاد الاعتبار لمعظم الضحايا الذين لاقوا حتفهم على يده. وبنهاية عقد الخمسينيات سيتم إغلاق معظم معتقلات الجولاك.

رحل ستالين .. كما رحل سواه ..

لافرينتيبيريا، رئيس شرطة ستالين السرية، سرعان ما سيلاقي نفس مصير سلفيه ياغودا ويزوف، سيحاكمونه بتهمة الخيانة، سيقف في قاعة المحكمة متوسلًا الرحمة بلا جدوى، ثم سيعدم بنفس طريقة سلفيه، لكنه سيكون أقل شكيمة وشجاعة في مواجهة الموت، سيصرخ وينوح حتى يضطر جلاديه إلى وضع خرقة من قماش في فمه لإسكاته، ثم سيسكتونه للأبد برصاصة في رأسه .

هكذا هي الدنيا عزيزي القارئ .. كما تدين تدان ..

لكن برغم كل تلك الجرائم هناك من يشيد بستالين، لا بل إن شعبيته مرتفعة في روسيا اليوم، فهو بنظر البعض الرجل الذي حمل روسيا إلى مصاف الدول العظمى، الذي طور الزراعة والصناعة والتعليم، الذي دحر الألمان، الذي صنع القنبلة النووية، الذي وقف بوجه أمريكا والغرب وأحكم قبضته على شرق أوروبا ..

بنظر البعض ستالين كان أعظم حكام الاتحاد السوفييتي السابق، أما خروتشوف ومن أتوا بعده فكانوا صنيعة الغرب وهم الذين مهدوا لسقوط الشيوعية .

أنا شخصيا لم أفهم يومًا لماذا يحب الناس الطغاة، هناك من يقول بأن القبضة القوية والحازمة لا بد منها لإدارة الدول، ولا بأس في موت الكثير من الناس إذا كان ذلك سيسهم في حفظ البلاد وسلامة ووحدة أراضيها ..

لكن أليس هذا هو نفس منطق يزوف؟ ..

حياة ستالين في السينما

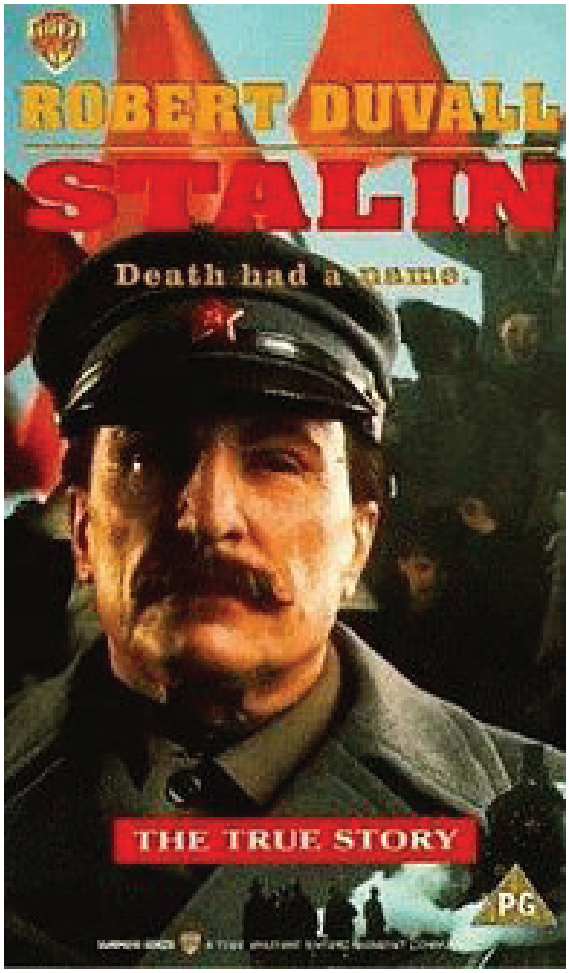

ستالين (بالروسية: Сталин) هو فيلم تليفزيوني تم إنتاجه سنة 1992م، من بُطولة الممثل روبرت دوفال الذي جسّد الزعيم السوفييتي جوزيف ستالين وفاز الفيلم بثلاث جوائز غولدن غلوب كذلك فاز الممثل روبرت دوفال بجائزة أفضل مُمثل. تم تصوير الفيلم في بودابست، والمجر، وموسكو، وروسيا، وبالقُرب من الكرملين الأحداث.

الفيلم يصور الحياة السياسية والشخصية للزعيم السوفييتي جوزيف فيساريونوفيتش ستالين وكيف وصل إلى الحُكم وتمكن من تحويل الاتحاد السوفييتي إلى قوة عُظمى كذلك يُسلِط الضوء على سُلوك ستالين وتصفيته لمُعارضيه وعلاقته مع زوجته. يَستنِد الفيلم إلى المذكرات التي كتبتها ابنة ستالين عندما كانت في الولايات المتحدة عام 1967م.

أرشيف صور منوعة لستالين

المصادر

1) موقع كابوس، القسم: قتلة ومجرمين، العنوان: ستالين والقزم الدموي.

2) http://www.kabbos.com/index.php?darck=343

3) https://ar.wikipedia.org/wiki

4) https://www.google.com.sa

ألمانيا هتلر 1933 - 1945م

أدولف هتلر

جوزيف مينغلي

هذا الثنائي أعتقد أنه سوف يملك العالم وعمل على ذلك وكأنهم يعرفون الغيب وجوزيف مينغلي رجل مجرم وشرير جدًّا وجد ضالته في هتلر وديكتاتوريته العظيمة وهتلر أطلق العنان لمينغلي وأعطاه الضوء الأخضر لفعل ما يريد، والآن لك عزيز القارئ ما حدث في هذه الفترة.

هتلر

إنه الرجل الذي أشعل أكبر حرب عرفها التاريخ.

إنه النازي .. الفوهرر .. إنه إدولف هتلر

ولد هتلر لأب ألماني يعمل كاتب جمارك صغير وأم من طبقة الفلاحين النمساويين.

تاريخ الولادة والوفاة:

الولادة: 20 أبريل 1889م.

الوفاة: 1945م (مشكوك بتاريخ الوفاة حتى الآن).

النشأة:

ولد هتلر في مدينة براناو إم إن الصغيرة في النمسا وقد عانى جدًّا وهو صغير بسبب وفاة أمه وأبيه مبكرًا في صغره وعاش في بداية حياته في العاصمة فيينا فقيرًا جدًّا ينام في الشارع يأكل من أرخص الطعام وبعد ذلك قرر أن يذهب لألمانيا موطن أبيه وأجداده ودخل ميونخ للعلم والمعيشة فيها وكان ذلك في عام 1913م.

حياة هتلر السياسية:

سجن هتلر أكثر من مرة بسبب جرأته على القانون الألماني في فترة العشرينيات من القرن العشرين واختصارًا لما حدث أصبح هتلر يعمل بالسجن حتى يكون زعيمًا قوميًّا وفي السجن ألف هتلر كتابه (كفاحي).

الذي قدم فيه أفكاره النازية وخططه التوسعية في المستقبل وأُعجب به الكارهون للنظام الألماني وبعد خروجه من السجن عمل على أن يكون مستشارًا لألمانيا وكان له ما أراد في سنة 1933م.

فقد نجح الحزب النازي في السيطرة على مجلس البرلمان بعد النجاح في الانتخابات وصار هتلر رئيسًا لألمانيا وقائد الحزب النازي.

أعداء هتلر:

هتلر رجل مسيحي كاثوليكي اتخذ لحزبه شعار الصليب المعكوف حتى يكون مميزًا عن غيره من المسيحيين وبسبب أفكاره الغريبة نوعًا ما اعتبر هتلر أن اليهود هم ألد أعدائه وبعدهم العرب، وبالتالي عمل على تصفية اليهود في أوروبا كافة وعرفت تصفية اليهود بعملية إبادة جماعية وتطهير عرقي، ولكن لا أريد أن أتحدث عن هذه القضية والتي عرفت باسم

(هولوكوست) محرقة اليهود؛ لأنه قد تم التشكيك فيها وبشكل كبير جدًّا ولكن من المؤكد أنه قد تم قتل وسجن وتعذيب اليهود بأمر من هتلر وأعوانه.

وندم اليهود لعدم مغادرة ألمانيا قبل 1935م؛ لأنه صدر قانون يحرمهم حق المواطنة الألمانية وكذلك فصلهم عن الأعمال الحكومية والتجارية.

غـادر 180.000 يهودي بعد هذه الإجراءات وبعدها بدأ في إبادة اليهود ولم ينج إلى القليل منهـم: وقال هتلر قولته الشـهيرة: «تركت لكم بعض اليهود لتعرفوا لمـا كنت أقتلهم وأعذبهم أشد العذاب».

هتلر كان له أعداء كثر في ألمانيا وخارجها ويبدو أنه عمل على تصفيتهم ولكن أهم حادثة في أعدائه هي ما حدث له مع القائد العسكري روميل والذي هو صديق هتلر وله مكانة عالية في ألمانيـا عند حكومـة هتلر فقد قاد روميل معارك عظيمة في أوروبا وشـمال إفريقيا وانتصر فيها.

حاول بعض الضباط الألمان اغتيال هتلر بزرع قنبلة ولكن المحاولة فشـلت واتهم روميل وهو لم يشـارك فيها، ولكنه كان يعرف تفاصيلهـا وبعدها خيَّرَهُ هتلر بين المحاكمة العلنية أو الانتحار بالسم واختار الانتحار وبعدها صار القادة والجنود مثل العبيد لهتلر.

الحرب العالمية الثانية:

عزيـز القـارئ لا أريد أن أدخل في دوامة هذه الحرب لأنهـا طويلة ومعلوماتها مختلفة في كثير من الكتب التي تحدثت عنها وهي سمية بهذا الاسم؛ لأنه قد تم فيها تغيير خارطة العالم ولكن ما هو مهم فيها أن هتلر قرر دخول هذه الحرب لإعادة مجد ألمانيا لأن ألمانيا قد هزمت في الحرب العالمية الأولى وهتلر رجل متحدث ومحاور من الدرجة الممتازة ويجيد فن الإلقاء ولديه كاريزما عالية جدًّا ولهذه الأسـباب قبل الشـعب الألماني مشروع هتلر الاسـتعماري ودخول الحرب.

ويمكنك عزيزي القارئ مشاهدة أفلام وثائقية عن هذه الحرب في مواقع النت لأنها أفضل من الكتب.

أرشيف صور هتلر

جوزيف مينغلي

عندما كان هتلر ملهي في حرب أعدائه وغزو الدول الأوروبية كان هناك في ألمانيا رجل يعمل طبيب بشري وهو جوزيف مينغلي ولكنه تخلى عن مفهوم ملاك الرحمة وصار ملاك الموت وكان في سباق مع الزمن لحصد أرواح الأبرياء المدنيين من كل الأعمار ومن كل الأعراق ولك الآن عزيزي القارئ ما فعله هذا المجرم السادي[1] في تلك الفترة.

إلى اليمين صورة للدكتور جوزيف مينغلي بزيه العسكري وإلى اليسار صورة لبعض أطفال معسكرات الموت النازية التي كان مينغلي مسؤولا عن أحدها

شر مطلق تجسد في صورة رجل يتلذذ و يستمتع بإجراء تجاربه العلمية والمختبرية على أجساد سجنائه، لا يستثني من ذلك حتى الأطفال، بل بالعكس، كان يجد متعة خاصة في

(1) السادية: مذهب فكري يقوم على تحقيق اللذة بتعذيب الآخرين.
أو هو شذوذ جنسي قائم على التلذذ بإحداث الألم لدى الآخر طلبًا لتهيج الجنسي أو لإشباعه.
مصدر هذا التعريف: كتاب أشهر السفاحين في التاريخ: تأليف أبو المظفر سعيد محمد السناري ط 2012م، دار الكتاب العربي.

تعذيبهم، طبيب كان من المفترض أن يعالج الناس ويخفف آلامهم، ولكنه تحول إلى وحش كاسر لا يضجر ولا يمل من الدم، إنه جوزيف مينغلي «Josef Mengele» المعروف باسم ملاك الموت وهو اسم على مسمى.

كان يحتفظ بالأطفال كفئران بشرية لإجراء التجارب عليهم.

مينغلي .. عزرائيل معسكرات الموت النازية / Angel of Death:

ولد في بافاريا في ألمانيا عام 1911م، الولد البكر من بين ثلاثة أبناء لـ « كارل مينغلي»، درس الطب وعلم الإنسان في جامعة ميونيخ وحاز على شهادة الدكتوراه منها عام 1935، كان مؤمنًا بشدة بالأفكار والأيدولوجية النازية وانتمى للحزب النازي عام 1937 ثم انضم إلى وحدات النخبة الألمانية الـ «س س» عام 1938 وشارك في الحرب العالمية الثانية على الجبهة الروسية، حيث أصيب بجروح خلال إحدى المعارك جعلته غير صالحًا للقتال ولذلك تم ترقيته إلى رتبة عقيد وتعينه عام 1943 كطبيب في أحد معسكرات الإبادة النازية الخاص بإبادة الغجر ومن هناك ذاع صيته باسم «ملاك الموت»، حيث كان يستقبل وجبات السجناء الجدد عند قدومهم إلى معسكر «Auschwitz» وكان يقرر من منهم يبقى للعمل الإجباري ومن يذهب إلى غرف الغاز لكي يعدم مباشرة، الموت إلى اليسار والحياة إلى اليمين، هكذا بكل بساطة تحدد مصير مئات الآلاف من الأرواح بحركة من يد مينغلي، كان له طرق غريبة أخرى لتحديد مصير البشر في معسكرات الموت الرهيبة، إحدى طرقه هي بأن يرسم خطًا أفقيًّا على الحائط ويأمر السجناء كي يقفوا تحته ومن لا تصل قامته إلى الخط يرسل إلى المحرقة مباشرة !! وفي إحدى المرات اخبروه بانتشار القمل في أحد عنابر النساء السجينات ولكي يحل المشكلة أمر بكل بساطة بقتلهن جميعًا وعددهن 750 امرأة!!

اشتهر مينغلي بصورة خاصة بتجاربه واختباراته على البشر، كان مهتمًا بصورة خاصة بالأطفال التوائم واحتفظ بمجموعة كبيرة منهم في أكواخ خاصة لكي يقوم بتجاربه الغريبة عليهم، كانت الغاية من تجاربه هي إثبات العقيدة النازية، كان يبحث عن سر الوراثة، مستقبل الأيدلوجية النازية كان متوقفًا على علم الوراثة بنظره، ماذا لو تمكن من إيجاد طريقة لضمان أن تنجب المرأة الآرية الأصيلة توأمًا بشعر اصفر وعيون زرقاء، سيكون مستقبل

النازية مضمونًا حينها !! كان يريد أن يثبت أن أغلب الأمراض منشأها الأعراق التي هي أدنى مرتبة من العرق الألماني حسب التقسيم النازي العنصري للأجناس والأعراق البشرية.

ضحايا الإعدامات الجماعية في غرف الغاز يكومون فوق بعضهم البعض انتظارا لدفنهم في قبور جماعية

قطار الموت وتوائم مينغلي:

عندما كان قطار السجناء الجدد يصل إلى المعسكر حاملًا مئات وآلاف العوائل معه من يهود وغجر ومثليين وأسرى الحرب، كان جنود وحدات النخبة الألمانية يدورون كالكلاب المسعورة بين الطوابير بحثا عن التوائم لمينغلي، أحيانًا تقوم بعض الأمهات بتسليم توائمهن أو يشي أحد أقاربهن بهن وأحيانًا أخرى تنجح الأم في إخفاء توأمها الذي غالبًا ما يصحبها إلى غرف الغاز لكي يعدم ويموت معها، كان الخيار صعبًا، هل تسلم الأم توأمها لكي يصبحا حقل تجارب ويبقيا على قيد الحياة ولو إلى حين أم تصحبهما معها للموت السريع؟ ماذا ستفعلين عزيزتي القارئة لو كنت محل تلك الأم المسكينة !!؟. إحدى التوائم تستذكر ذلك اليوم الذي فصلوها هي وأختها عن أمهم قائلة:

«مـا إن عرف حراس الــ «س س» بأننا توأم حتى قاموا بأخذي مـع أختي مريم من أمنا بـدون أية مقدمـات أو شرح، صراخنا وبكاؤنا كان بدون جدوى فقـد وقع على آذان صماء، أتذكـر بأني التفت إلى الخلف فرأيت أمي تمد ذراعيها نحونـا بأسى بينما كنا نقاد بعيدا، كانت تلك آخر مرة رأيتها فيها...»

أحد معسـكرات الموت النازية، الصورة إلى اليمين تصور السـجناء لحظة وصولهم إلى المعسـكر بواسطة القطار حيث يجري تقسيمهم، إلى اليسـار يعني إعدامًا وإلى اليمين يعـني عمـلًا إجباريًّا والصـورة إلى اليمين تصور نفس المعسـكر بعد سـتين عاما حيث أصبح معلمًا سياحيًّا لاستذكار ضحايا معسكرات الموت

بعـد أن يفصلـوh التوأم عن أمهم كانـوا يأخذوkهم إلى الحمامات لغسـلهم ومن ثم ملء اسـتمارات تحوي معلومات أولية عنهم، وبعد ذلك يوشـمون ويعطـون رقمًا خاصًّا لكل توأم، كانـوا يعاملونهم بصـورة خاصة تختلف عن بقية السـجناء فهم (أطفـال مينغلي) وخزينة من الفئران البشرية لإجراء تجاربه، كانوا لا يقصون شعرهم ويسمح لهم بالاحتفاظ بملابسهم ثم يعرضوهـم على مينغلي الذي كان يدقق النظر فيهم للبحث عن علامات وراثية معينة من أجل تجاربه ويرسلون بعدها إلى الثكنات المعدة لسكنهم.

كان يوم التوأم يبدأ في الساعة السادسة صباحًا، كان عليهم وبغض النظر عن طبيعة الجو أن يصطفـوا يوميًّـا خارج الثكنات من أجل التعداد وكان يسـحب منهم كميـة من الدم يوميًّا ولا يسـتثنى من ذلك حتى الصغار جدًّا، حيث يتم سـحب الدم من رقابهم لأن أيديهم صغيرة، بعدهـا يُقدم لهم فطور بسـيط ثم يحضر مينغلي من أجل المعاينـة اليومية التي كان يحرص على الظهـور فيها بجيوب مليئة بالحلويات، كان يربت رؤوس الأطفال ويتحدث معهم بل وحتى

يلعـب معهم أحيانًـا، الطريف أن بعض الأطفال الصغـار جدًّا والأبرياء جـدًّا كانوا ينادونه بـ «العم مينغلي».

إلى اليسار لوحة تصور حالة الرعب داخل غرف الغاز الجماعية، حيث تم فتح الغاز إلى داخل الغرفة وتراكض السجناء بيأس نحو الباب طلبا للنجاة بدون فائدة وإلى اليمين صورة حقيقية لأحـدى غرف الغاز في أحد المعسـكرات النازية السـابقة واليوم لا يغلق بـاب الغرفة أبدا احتراما لأرواح الضحايا

كانت ظروف توائم مينغلي جيدة بالقياس إلى بقية السـجناء فباستثناء عملية سحب الدم اليومية كان يسـمح لهم باللعب أحيانًا وكانوا يسـتثنون من العمل الشـاق مثل بقية السـجناء و يكلفون عادة بأعمال بسـيطة مثل أن ينقلوا الرسـائل بين الثكنات كما كانوا يسـتثنون من العقاب ومن الحملات الدورية لإرسال السجناء إلى غرف الغاز لكي يعدموا. وضع التوائم كان الأفضل في معسـكر مينغلي ولكن هذه الأفضلية تنتهي في اليوم الذي تأتي به شـاحنة التجارب لتأخذهم إلى مختبرات مينغلي.

كانت تجرى عليهم اختبارات طبية غريبة، كانوا يجبرون على خلع ملابسهم والاصطفاف لكي يتم فحص العلامات الجسدية ورصد المتشابه والشاذ منها، كانت العملية تستمر لساعات وكان مينغـلي لا يـتردد في تشريـح أي منهم فورًا في حـال وجد فيه علامات غـير طبيعية، كما كان يجـري نقـل الدم من توأم إلى آخر وكان يجري تجارب حـول تبديل لون العيون، من أجل الحصـول على عيون زرقـاء كان يقوم بزرق مـواد كيمياوية في عيون بعـض الأطفال وكانت تلك العملية تسـبب ألمًـا فظيعًا للأطفال وتنتهي جميعها بأمـراض والتهابات والعمى التام، كما

كان يقـوم بحقن بعض الأطفـال بأمراض معينة وكان يعطي المـرض إلى أحد التوأمين وعندما يموت يقوم بقتل التوأم الآخر و يقارن بين جسديهما والتأثيرات التي أحدثها المرض على الجسد الملوث قياسًـا بالجسـد السـليم!! كما كان يجري عمليات جراحية عديدة عليهم تتضمن زرع وقطـع أعضاء وغالبًا كانت تجري هذه العمليات بدون تخدير، أحد التوائم الناجين يسـتذكر بألم العمليات التي أجريت على شقيقه قائلًا:

«د.مينغلي كان دائمًا يبدي اهتمامًا أكثر بـأخي «تيبي»، لست متأكدًا لماذا ولكن ربما لأنه كان الأكبر سنًّا، د.ميغلي قام بإجراء العديد من العمليات على تيبي، إحداها في عموده الفقري تركته مشلولًا، لم يعد باستطاعته المشي، ثم قاموا باستئصال أعضائه الجنسية، بعد العملية الرابعة لم أر تيبي مرة أخرى، لا أسـتطيع أن أخبرك كيف شـعرت حينهـا، لا توجد كلمات بإمكانها وصف ما شعرت به، لقد أخذوا مني أبي .. أمي .. إخوتي الاثنين الكبار .. والآن شقيقي التوأم..». واحـدة من عمليات مينغـلي العجيبة كانت عبارة عن خياطة أجسـام توأمين إلى بعضها لصنع تـوأم سـيامية متلاصقـة!! كلا الطفلين ماتا بعـد أيام بسـبب تعفن جروحهـم، أحيانا كانوا يحقنـون بمادة الكلورفيل في القلب و يتم مراقبتهم ودراسـتهم وهم يموتون و بعد موت الأطفال كانت تقطع عينات من أجسـادهم مثل العيون والقلب والأحشاء الداخلية لإجراء المزيد من الاختبارات عليها.

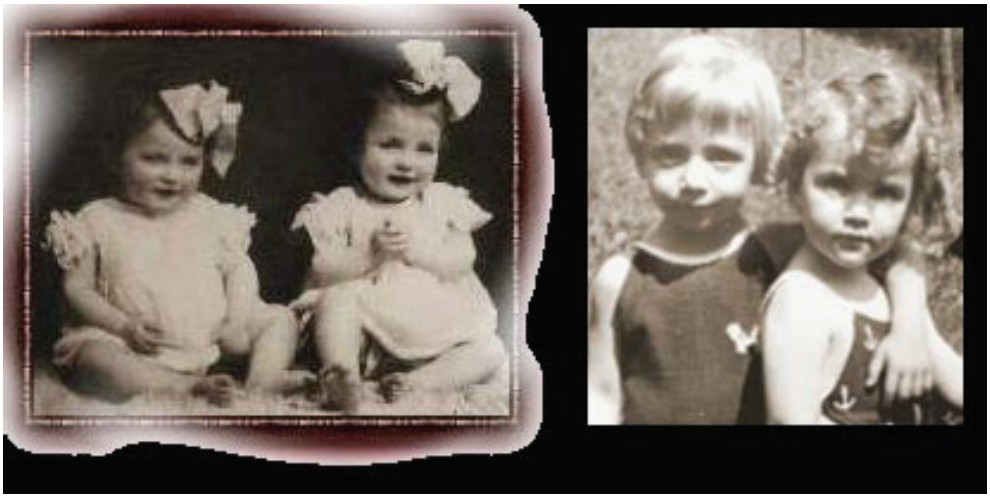

صور حقيقية لبعض التوائم التي تدمرت في معسكر مينغلي

مـن بين 3000 طفـل تقريبا احتجزهم مينغلي لأجراء التجارب عليهم في فترة الـ 21 شـهرًا التي قضاها في معسـكر «Auschwitz»، لم ينج سـوى 200 طفل، وبعد 60 عامًا يستذكر أحد الأطفال الناجين مينغلي قائلًا:

«أنا لم أقبل مطلقًا حقيقة أن مينغلي نفسه كان مقتنعًا بأن ما يقوم به هو عمل علمي واقعي، لم يكـن مهتمًا حقًّا بما يقوم به لكنه كان يمارس سـلطته، لقد أدار مينغلي محل للقصابة، معظم عملياته كانـت تجرى بدون تخديـر، في إحدى المرات رأيتـه يقوم بقطع عينات من معدة أحد الأشـخاص بدون تخدير، وفي مرة ثانية رأيته يستأصل قلبًا وبدون مخدر أيضًا، لقد كان ذلك مرعبًا، مينغلي كان طبيبًا أصيب بالجنون بسبب السلطة المطلقة التي منحت له، لم يكن هناك أحد يحاسبه - لماذا مات هذا؟ لماذا أفنى ذاك؟ - لقد قام بقتل آلاف باسم العلم، ولكنه في الحقيقة كان شخصًا مجنونًا».

بالإضافة إلى اهتمامه بالتوائم، كان مينغلي مولعًا بدراسة الحالات الوراثية الشاذة مثل الأقزام وضخام البنية، وكذلك كان يجري تجارب لأخطاء الأولاد والرجال واستئصال أعضائهم التناسلية في تجارب على تغيير الجنس وكان أحيانًا يعرض النساء للصعق بالكهرباء في أرحامهن لكي يصابن بالعقـم، كانـت تجاربه تلك تدور حـول إيجاد طريقة في القضاء على الأعراق التي هي حسـب عقيـدة النازيـة تعتبر أدنى من العـرق الآري من أجل منعهـا من التكاثر والقضـاء عليها (بعيدًا عـن النازية وجرائمها، إحدى وصمات العار في جبـين الحضارة الغربية هي برنامج تم إجراؤه في بعض الدول الغربية ولسنوات عديدة من أجل إخصاء ومنع تكاثر الناس، من الجنسين، المصابين بعاهات جسمية وعقلية، وسنعود لهذا الموضوع في إحدى مقالاتنا مستقبلًا)، كذلك كان مينغلي يجري تجارب حول الأشعة فكان يعرض بعض السجناء إلى كمية كبيرة من الأشعة السينية حتى تحترق جلودهم، إضافة إلى إجراء تجارب لقياس مدى تحمل جسـم الإنسـان كأن يوضع السجين في حـوض من الماء المتجمد ويتم دراسـة ما يحـدث له حتى الموت، كان هنـاك عدد من الأطباء يعملون بمعية مينغلي ويساعدونه في إجراء تجاربه وبعضهم كانوا من السجناء في معسكره.

بعد الحرب:

بعد سقوط النازية تم أسر مينغلي من قبل القوات الأمريكية، في البداية تم أسره تحت اسمه الحقيقي، ولكنه أطلق سراحه في تموز 1945 تحت اسم «فرتزهولمان» ثم اختبأ بعدها لمدة خمسة

أعوام كعامل في أحد المزارع الصغيرة ولكنه استمر بالاتصال بزوجته وطفله الوحيد وكذلك بصديق عمره «هانز سيدلماير» الذي ساعده في الهروب إلى الأرجنتين التي عاش فيها لعدة سنوات تحت اسم مستعار، ثم انتقل إلى البارجواي ومنها إلى البرازيل، لقد ظل مينغلي في خوف دائم من أن يلقى القبض عليه؛ لذلك كان دائم التنقل لكنه عاش حياته كأي شخص آخر وقام بأعمال تجارية واتصل بعدة من زملائه النازيين الفارين إلى أمريكا الجنوبية وزوج مرة أخرى، في الحقيقة، كانت أجهزة المخابرات الدولية تعتقد أن مينغلي مات عام 1944؛ لذلك لم تجر ملاحقته ولكن في عام 1959 تم اكتشاف إنه لا يزال على قيد الحياة وجرت ملاحقته إلا أنه لم يلق القبض عليه أبدًا. في عام 1979 مات مينغلي غرقا في البرازيل بسبب تعرضه لأزمة قلبية أثناء السباحة وتم دفنه تحت اسم «ولفكانككيرهارد»، في عام 1985 توصلت الشرطة الدولية إلى قبره وتم نبشه وفحص جثته التي أكد ابنه الأكبر «رولف» بأنها جثة والده، وفي عام 1992 تم إجراء فحص ثاني للـ DNA الذي أكد أن الجثة تعود إلى مينغلي.

صورة لإحدى التجارب التي كان النازيون يجرونها على البشر حيث يتم وضع الشخص المسكين محل التجربة في حوض مليء بالماء البارد (انظر قوالب الثلج إلى أسفل يمين الصورة) وكانوا يتركونه ليموت تدريجياً

واحدة من الصور المؤلمة والتي تصور لحظة إعدام أم مع طفلها على يد جندي نازي، انظر إلى الأم كيف تحاول حماية طفلها

ربما أن إحدى الحقائق المرة لضحايا جوزيف مينغلي هي أنه لم يحاكم قط وأنه استمتع بحياته لمدة 34 سنة أخرى بعد سقوط النازية، ورغم اكتشاف جثة مينغلي والتأكد من موته فإن البعض يظن بأنه لم يمت في عام 1979 وأنه استمر بالهرب وهناك الكثير من الشائعات عن رؤيته في عدة مناسبات وهذا هو حال الناس عزيزي القارئ مع موت معظم القادة والناس المشهورين حيث يبنون الأساطير والأوهام حولهم ولكن عزاء جميع المظلومين في هذا العالم هو أن الموت في النهاية هو المنتصر الوحيد وأنه لا يوجد إنسان مخلد في هذا العالم، لقد رحل جوزيف مينغلي ولكن جرائمه ستبقى تثير الرعب والاشمئزاز في نفوس الناس.

هذه المقالة نشرت لأول مرة بالعربية في موقع مملكة الخوف بتاريخ 10/ 07/ 2008.

هتلر في عالم السينما

بعض صور الأفلام التي أنتجت عن هتلر

المصادر

(1) هتلر

1) كتاب نهايات المشاهير المشهد الأخير في حياة هؤلاء: تأليف مجدي سيد عبدالعزيز دار العالم العربي.

2) كتاب أشهر السفاحين في التاريخ: تأليف خالد عبد الإله الطبعة الأولى 2013م مركز الشرق.

3) https://www.google.com.sa

كتبت باختصار بوضع التصرف من هذه المصادر.

(2) جوزيف مينغلي

1) https://en.wikipedia.org/wiki/Josef_Mengele

2) http://www.kabbos.com/index.php?darck=12

3) موقع: كابوس، القسم: قتلة ومجرمين، العنوان: جوزيف مينغلي ملاك الموت.

4) https://www.google.com.sa

الفصل الخامس

مذابح ومجازر عرب أسيا

العراق - سوريا - لبنان

الفصل الخامس

مذابح ومجازر عرب أسيا

العراق - سوريا - لبنان

العراق 1979 - 2003م

صدام حسين

علي الكيماوي

عـام 2003م قدمـت أمريـكا وحلفاؤهـا أعظم هدية في تاريـخ البشرية للأمـة العربية والإسلامية، وذلك لأنها أزالت نظام صدام حسين وحزبه البعثي وألقت القبض على هذا الثنائي وقدمتهم للمحاكمة في العراق.

ولك الآن عزيزي القارئ قصة هذا الثنائي في فترة حكم صدام للعراق.

صدام حسين

ولـد في 28 أبريـل 1937م في مدينة العوجه بمحافظة صلاح الدين وهذه المدينة فقيرة جدًّا وتـوفي والده قبل ولادته بسـتة أشـهر وتـربى في بيت خالـه خيرالله طلفاح وخاله من عشـيرة البيجات السـنية التي تتميز بالعنف والقتل ولعله هو السبب في سلوك صدام العدواني ورغبته في الحرب وصدام يدعي أنه سني العقيدة ولكنه ليس سنيًّا، بل هو محسوب على أهل السنة.

وهو الرئيس الرابع للعراق: حكم من 1979م إلى 2003م، وتوفي بعد أن صدر حكم إعدام في حقه من محكمة عراقية في فجر يوم عيد الأضحى الموافق 30/ 12/ 2006م.

علي الكيماوي

هو علي حسن المجيد (الشهير ب/ علي الكيماوي)، ابن عم الرئيس العراقي صدام حسين وأحد قيادي حزب البعث وهو وزير سابق في حكومة صدام ولقب بعلي الكيماوي كناية عن استعماله الأسلحة الكيماوية: ولد في 30 نوفمبر 1941م، توفي 25 يناير 2010م.

حكم حزب البعث في العراق:

إن أردت أن تعـرف تفاصيـل الحكومـات التي توالت على حكم العـراق (مرحلة الملكية ومرحلة الأحزاب وغيرها) فعليك أن تقرأ كتاب (صفحات من تاريخ العراق).

تأليف تشـارلز تريب - ترجمة زينة جابر إدريس، الـدار العربية للعلوم - الطبعة الأولى 2006م، هذا الكتاب عظيم جدًّا ومهم جدًّا.

قاعة الخلد

بداية حكم صدام

وعرفت هذه الحادثة بعد ذلك بمجزرة قاعة الخلد في تموز / يوليو 1979م أعلن أحمد حسن البكر استقالته بشكل مفاجئ وفي غضون ساعات أقسم صدام حسين اليمين كرئيس للجمهورية العراقية، وعين عزت الدوري نائبًا للرئيس وبعدها عمل صدام على تصفية كل من يرى أنهم ينافسونه بالحكم وأنهم خطر عليه وبعدها أعلن صدام أن المخابرات العراقية كشفت مؤامرة لقلب نظام الحكم واتهم سوريا فيها وذلك بواسطة أعضاء بمجلس قيادة الثورة. واجتمع حزب البعث في قاعة الخلد ليستمعوا لصدام عما حدث وذكر صدام أسماء ستين رجلًا هم من أبرز أعضاء النظام وتم اعتقالهم وسجنهم وحكم على كثير منهم بالإعدام وسجن الباقون والذي حكم عليهم هو أحد أزلام صدام وهو نعيم حداد، وكان ذلك في محكمة خاصة وصدام بعد هذه الحادثة اطمئن قلبه جدًّا وصار لا ينافسه أحد في الحكم.

وكانت هذه أول مجزرة لصدام وهو رئيس للعراق.

حرب على الشعب العراقي (مجازر في العراق)

1) مجزرة الديجيل:

قضية الدجيل تعود وقائعها إلى سنة 1982، بعد تعرض موكب صدام حسين في أثناء مروره بهذه البلدة، إلى محاولة اغتيال فاشلة نظمت من قبل «حزب الدعوة الإسلامية في العراق» والذي كان معارضا لحكومة صدام حسين، وقد أعقبت هذه المحاولة الفاشلة سقوط عدد من المتورطين واعتقال آخرين ومحاكمتهم بالإضافة إلى مصادرة بعض الأراضي الزراعية في البلدة.

أما الدجيل التي سميت القضية باسمها، فهي بلدة صغيرة، معظم ساكنيها من الشيعة العراقيين، تقع على بعد 65 كم شمال بغداد و يبلغ عدد ساكنيها حوالي 10 آلاف نسمة. وكانت

المدينة تعتبر أحد مراكز القوة لحزب الدعوة الإسلامية الذي كان حزبًا محظورًا في الثمانينيات في أثناء وقوع عملية الاغتيال الفاشلة.

ففي 8يوليو 1982، قام صدام حسين، وفي خضم حرب الخليج الأولى، بزيارة البلدة وفي أثناء مرور موكبه تعرض إلى إطلاق النار من قبل أعضاء في حزب الدعوة الإسلامية وتم تبادل لإطلاق النيران بين أعضاء الحزب وحماية صدام.

بعد هذه المحاولة، وحسب إفادة « الشهود» الذين استقدمتهم المحكمة، قامت قوات عسكرية بأمر من صدام بعمليات قتل ودهم واعتقال وتفتيش واسعة النطاق في البلدة وقتل وأعدم على إثرها 143 من سكان البلدة من بينهم، وحسب الشهود دائما، أطفال بعمر أقل من 13 سنة. وتم حسب نفس الإفادات والوثائق التي عرضها الادعاء العام، اعتقال 1500 من سكان البلدة الذين تم نقلهم إلى سجون العاصمة بغداد وبعد ذلك إلى معتقل «ليا» في الصحراء، بمحافظة المثنى، وتعرضوا خلال هذه الفترة حسب شهاداتهم، إلى أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي. وتم بعد ذلك إصدار قرار بتدمير وتجريف ما يقارب 1000 كم مربع من الأراضي الزراعية والبساتين المثمرة الواقعة في البلدة حسب الادعاء العام.

وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة العراقية قامت بدفع تعويضات، اعتبرها البعض شكلية، عن البساتين والأراضي الزراعية المتضررة بعد 10 سنوات من هذه الحادثة.

غير أن محاكمة صدام في هذه القضية بالذات أثارت عددا من الانتقادات، من بينها أن قضية الدجيل تعتبر قضية صغيرة الحجم والأبعاد إذا قورنت بقضايا أكبر حجمًا وذات أبعاد إقليمية مثل حرب الخليج الأولى وحرب الخليج الثانية واستعمال الأسلحة الكيماوية في حلبجة شمال العراق، واعتبر البعض أن اختيار هذه القضية ثم بناء على اقتراحات من الولايات المتحدة وليس على أولويات وقناعات الشارع العراقي، وكان الهدف منها هو الابتعاد عن القضايا التي تبرز تورط الولايات المتحدة ودول أوروبية كبرى في دعم صدام حسين وبناء ترسانته العسكرية، وذلك للحيلولة دون نقل المحكمة إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، وردت مصادر من المحكمة الجنائية المختصة في العراق أن قضية الدجيل هي التي

يمكـن إثباتها على المتهمين لوجود أدلة ووثائق تؤكد علاقة صدام حسـين شـخصيًّا بأحداث الدجيل.

كما اعتبر البعض المحكمة غير شرعية أساسًـا؛ لأنها تشـكلت بقرار من مجلس الحكم في العراق، الذي كان تحت هيمنة سلطة الائتلاف الموحدة وحاكمها بول بريمر. وكان العراق في تلك الفترة دولة محتلة حسب تعريف الأمم المتحدة للحالة في العراق، وقد صدر قانون تشكيل المحكمة حسـب بند في قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية الذي كان مجرد مسودة دستور ولم يكن دستورًا دائما.

وفي 5 نوفمـبر 2006، أصدرت المحكمـة الجنائية العراقية العليـا قرارها القاضي بالإعدام شنقًا على صدام حسين، كما صدر نفس الحكم في حق برزان إبراهيم الحسن، الأخ غير الشقيق لصدام والذي كان يشـغل منصب مدير جهاز المخابرات، وعواد حمد البندر السـعدون رئيس محكمة الثورة سابقًا.

2) مجزرة حلبجه (الهجوم الكيماوي على حلبجه):

هو هجوم حدث في الأيام الأخيرة للحرب العراقية ـ الإيرانية، حيث كانت مدينة حلبجة محتلـة من قبل الجيش الإيراني، وعندما تقدم إليها الجيش العراقي تراجع الإيرانيون إلى الخلف وقـام الجيش العراقي قبل دخولها بقصفها بغاز السـيانيد، ممـا أدى إلى مقتل أكثر من 5500 من الأكـراد العراقيـين من أهالي المدينة. ادعى العراق أن الهجوم قامـت به القوات الإيرانية على السـكان الأكراد ببلدة حلبجة الكردية. قامت القوات بالهجوم الكيميائي في آخر أيام حرب الخليج الأولى بين العراق و إيران، من 16 - 17 مارس 1988. قُتل من سـكان البلدة فورًا 3200 - 5000 وأصيـب منهـم 7000 - 10000 كان أغلبهم مدنيين، وقد مات آلاف من سـكان البلدة في السـنة التي تلت من المضاعفات الصحية والأمراض والعيوب الخلقية. كانت الهجمة، التي تعرّف أحيانا بـ (الإبادة الجماعية)، أكبر هجمة كيماوية وُجّهت ضد سكان مدنيين من عراق واحـد وهم الأكراد حتى اليوم. وهو أمر يتفق مع وصف الإبـادة الجماعية في القانون الدولي التـي يجب أن تكون موجهة ضد جماعة أو عـرق بعينه بقصد الانتقام أو العقوبة. لقد اعترف كبـار قادة البعث العراقي وهم طارق عزيز وصدام حسـين بمسـؤوليتهم عن الإبادة الجماعية

ضمن حملة الأنفال العسكرية التي راح ضحيتها 182000 كردي وقد وجدت المنظمات الدولية أكثر من 500 مقبرة جماعية في العراق بعد عام 2003 ورحيل النظام.

الهجوم الكيماوي على حلبجة:

قبل نهاية الحرب مع العراق توجه الجيش العراقي لتحرير مدينة بلدة حلبجة والمنطقة المحيطة بها من الاحتلال الإيراني. كان الجيش الإيراني في أسوأ حالاته مما حدا به إلى التراجع إلى الخلف وقصف مدينة حلبجة بغاز السيانيد بلا رحمة، ومات نتيجة هذا الهجوم العشرات من الأبرياء الأكراد العراقيين الذين أبقاهم جلال الطالباني في البلدة لخدمة المحتلين الإيرانيين. حيث إن الطالباني وزمرته قد تعاونوا مع إيران ضد العراق في الحرب العراقية الإيرانية وقد أشيعت أكاذيب كثيرة وغير واقعية عن هذا الهجوم وذكر البعض أن الخسائر بالآلاف وهو غير صحيح؛ لأن حلبجة مدينة حدودية تحت مرمى النيران خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية مما حدا بسكانها إلى النزوح إلى مناطق أكثر أمنًا عدا أولئك الذين أبقاهم الطالباني.. واتهموا الجيش العراقي باستخدام الأسلحة الكيماوية وهو أمر لم يثبت أمام أية دراسة علمية للموضوع. وقال آخرون إن الهجوم على بلدة حلبجة كان ضمن حملة عسكرية ضد الأكراد التي أطلق عليها (حملة الأنفال) وأنها قمعت الثورات الكردية في شمال العراق في أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وهذا الأمر أيضًا يثبت كذبة الإبادة فإذا كانت هنالك «ثورة» ضد الحكومة المركزية يعني أن هناك عملًا مضادًا لها وبالتالي ينتفي وصف الإبادة. لكن الحقيقة أنها كانت معارك ضد الجيش الإيراني الذي كان قد احتل أجزاء من الأراضي العراقية بمساعدة العملاء من الأحزاب الكردية التي اضطهدت الشعب الكردي. الأسلحة الكيماوية التي استخدمت حصل عليها من شركات أمريكية وبريطانية وفرنسية وألمانية وصينية. حكمت محكمة هولندية في 23 ديسمبر / كانون الأول 2005 م أثار وزير خارجية الولايات المتحدة كولن باول مجددًا قضية قتل الأكراد في حلبجة بالأسلحة الكيميائية بينما كان يفتتح «نصبًا تذكاريًّا» بحضور جلال الطالباني في صيف عام 2003 المنصرم. والمعروف أن كولن باول قد كذب أمام مجلس الأمن فيما يتعلق بالعراق. هذا وثار أهالي حلبجة ضد المسؤولين الأكراد لاستخدامهم كورقة ضغط وابتزاز. وما زلنا نسمع ونقرأ من يحمل العراق عرضًا مسؤولية مذبحة حلبجة، وكأن ذلك من البديهيات. ويجيء ذلك عادةً في سياق «بديهية» أخرى هي أن

أمريكا سلحت العراق في الحرب العراقية-الإيرانية الدامية خلال الثمانينيات. ويذكر معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي أن استيراد العراق للأسلحة ما بين عامي 1973 و2002 توزع إحصائيًّا كما يلي: 57 % من روسيا والاتحاد السوفييتي السابق، 13 % من فرنسا، 12 % من الصين، 1 % من أمريكا، وأقل من 1 % من بريطانيا. فليس دقيقًا التعميم أن أمريكا سلحت العراق في الثمانينيات، وليس في سجل العراق شيء مثل فضيحة «إيران غيت» أو صفقات أسلحة «إسرائيلية» من السوق السوداء أو غيرها، مع العلم أن مسؤولين أمريكيين شهدوا أمام الكونجرس عام 1982 أن «إسرائيل» نقلت أسلحة أمريكية لإيران وجيش لبنان الجنوبي دون أن يتبع ذلك تحقيق بالرغم من مخالفته لنص القانون الأمريكي.

من جهة أخرى، يذكر تقرير محدود التوزيع عن حلبجة لوكالة الاستخبارات العسكرية الأمريكية، اقتطفت أجزاءً منه مجلة الفيليجفويس Village Voice الأمريكية المعروفة في عددها الصادر يوم 1 آيار/مايو 2002: «معظم الضحايا في حلبجة تسبب بموتهم محلول السيانوجين كلوريد كما بلغنا، ولكن هذا العامل الكيميائي لم يستخدمه العراق يومًا، بل إن إيران هي التي اهتمت به. أما قتلى غاز الخردل في البلدة فمن المرجح أنهم قضوا بالأسلحة الإيرانية، لأن إيران هي التي لوحظ أنها استخدمته». وأن جميع الضحايا والمصابين الأكراد القادمين من حلبجة ظهرت عليهم أعراض الإصابة بمحلول السيانوجين كلوريد الذي تستخدمه القوات الإيرانية فقط وعليه هل القوات العراقية التي لا تمتلك هذا السلاح الكيمياوي هي التي نفذت المجزرة أم القوات الإيرانية التي تمتلك هذا السلاح وتستخدمه؟

حياة صدام في عالم الفن

1) فيلم الأيام الطويلة:

فلم تم إنتاجه في العراق، يتحدث عن جزء مهم من حياة صدام حسين.

صورة مشهد من فيلم الأيام الطويلة

2) **مسلسل بيت صدام:**

بيت صدام (بالإنجليزية: House of Saddam) هو عمل درامي تليفزيوني تم عرضه سنة 2008م، والعمل يصور بروز ثم سـقوط الرئيس العراقي صدام حسـين وعائلته، ويعد العمل إنتاجا مشتركا بين البي بي سيHBO، وبدأ عرض المسلسل ذي الأربعة أجزاء على شاشة BBC Two في المملكة المتحدة في 30 يوليو.

أرشيف صور صدام وعائلته

قاعة الخلد

في قاعة الخلد

خال الرئيس صدام

الرئيس وعائلته

والدة الرئيس صدام

nabanews.net

nabanews.net

nabanews.net

المصادر

قاعة الخلد

1) كتـاب صفحات مـن تاريخ العراق، تأليف تشـارلز تريب - ترجمة زينـة جابر إدريس - الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى 2006م: كتبت باختصار وبعض التصرف.

2) https://ar.wikipedia.org/wiki/

3) http://www.farfesh.com/Display.

4) http://www.nmisr.com/vb/showthread.php?t=484412

5) http://www.elcinema.com/work/wk1173767/

6) http://www.maghress.com/alittihad/102981

7) http://shisharxoshnaw.blogspot.com/2012/03/blog-post.html

8) https://www.google.com.sa

سوريا 1982م

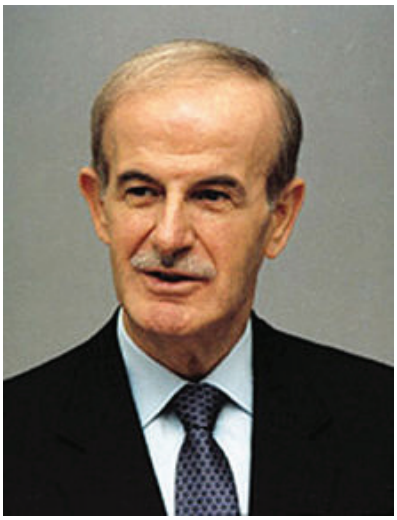

حافظ الأسد

رفعت الأسد

هـذا الثنائي إخوة اتفقـوا في البداية وبعدها اختلفوا وأرادوا كتم الحقيقة ولم يسـتطيعوا ذلك والآن سوف تعرف ماذا حدث في سوريا بمحافظة حماة 1982م.

حماة 1982م.. أكبر مجزرة في العصر الحديث

تعـد مجزرة حماة 1982م أكبر مجزرة في العـصر الحديث، كما جاء في تقرير منظمة العفو الدولية. وقد تعرضت فيها مدينة حماة إلى أوسـع حملة عسـكرية شـنها النظام السـوري ضد المعارضة، ولقد أودت تلك المذبحة بحياة عشرات الآلاف من أهالي مدينة حماة.

فما قصة مجزرة حماة؟ وما أبرز أحداث مجزرة حماة 1982م؟

بـدأت المجـزرة في 2 فبراير/شـباط عـام 1982م واسـتمرت 27 يومًا، حيث قـام النظام السوري بتطويق مدينة حماة وقصفها بالمدفعية، ومن ثَمِّ اجتياحها عسكريًّا، وارتكاب مجزرة مروعـة كان ضحيتها عشرات الآلاف مـن المدنيين من أهالي المدينـة، وكان قائد تلك الحملة العقيد رفعت الأسد شقيق الرئيس حافظ الأسد.

ورغم مضي الأعوام إلا أن ما شهدته تلك المدينة التي تتوسط الأراضي السورية ويقطنها قرابة 750 ألف نسمة يعتبر الأكثر مرارة وقسوة قياسًا إلى حملات أمنية مشابهة، فلقد استخدمت حكومة الرئيس السوري حافظ الأسد الجيش النظامي والقوات المدربة تدريبًا قاسيًا، ووحدات من الأمن السري في القضاء على المعارضة واجتثاثها.

وتشير التقارير التي نشرتها الصحافة الأجنبية عن تلك المجزرة إلى أن النظام منح القوات العسكرية كامل الصلاحيات لضرب المعارضة وتأديب المتعاطفين معها، وفرضت السلطات تعتيمًا على الأخبار؛ لتفادي الاحتجاجات الشعبية والإدانة الخارجية.

ومن الجدير بالذكر أنه وإلى الآن هناك مطالبات من منظمات حقوقية بتحقيق دولي في أحداث حماة، ومعاقبة المسؤولين عن المجزرة، والتي تعتبر الأعنف والأكثر دموية وقسوة في تاريخ سوريا الحديث كله.

أسباب اندلاع أحداث حماة:

جاءت تلك الأحداث في سياق صراعٍ عنيفٍ بين نظام الرئيس السوري حافظ الأسد وجماعة الإخوان المسلمين التي كانت في تلكٍ الفترة من أقوى وأنشط قوى المعارضة في البلاد.

واتهم النظام حينها جماعة الإخوان بتسليح عدد من كوادرها وتنفيذ اغتيالات وأعمال عنف في سوريا من بينها قتل مجموعة من طلاب مدرسة المدفعية في يونيو 1979م في مدينة حلب شمال سوريا، ورغم نفي الإخوان لتلك التهم وتبرّئهم من أحداث مدرسة المدفعية، فإن نظام حافظ الأسد حظر الجماعة بعد ذلك، وشن حملة تصفية واسعة في صفوفها، وأصدر القانون 49 عام 1980م الذي يعاقب بالإعدام كل من ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين.

أحداث مجزرة حماة:

دامت المجزرة 27 يومًا، بدءًا من 2 فبراير/شباط 1982م، وقد قام النظام السوري بحشد:

- سرايا الدفاع.
- واللواء 47 [دبابات].

- واللواء 21 [ميكانيك].
- والفوج 21 [إنزال جوي (قوات خاصة)].

فضلًا عن مجموعات القمع من مخابرات وفصائل حزبية مسلحة.

وقامت تلك القوات كلها مجتمعة بقصف المدينة وهدمها، ومن ثَمَّ اجتياحها عسكريًّا وحرقها، وارتكاب إبادة جماعية سقط ضحيتها ما بين 30 ألف إلى 40 ألف قتيل، وهدمت أحياء بكاملها على رءوس أصحابها، كما هدم 88 مسجدًا وثلاث كنائس، فيما هاجر عشرات الآلاف من سكّان المدينة؛ هربًا من القتل والذّبح والتنكيل.

ولقد قام النظام السوري بمنح القوات العسكرية كامل الصلاحيات لضرب المعارضة وتأديب المتعاطفين معها، ولتفادي الاحتجاجات الشعبية والإدانة الخارجية فرضت السلطات تعتيمًا على الأخبار، وقطعت طرق المواصلات التي كانت تؤدي إلى المدينة، ولم تسمح لأحد بالخروج منها.

وخلال تلك الفترة كانت حماة عرضة لعملية عسكرية واسعة النطاق شاركت فيها قوات من الجيش والوحدات الخاصة وسرايا الدفاع والاستخبارات العسكرية ووحدات من المخابرات العامة والمليشيات التابعة لحزب البعث، وقاد تلك الحملة العقيد رفعت الأسد الشقيق الأصغر للرئيس السوري حافظ الأسد والذي عُيِّن قبل المجزرة بشهرين مسؤولًا عن الحكم العرفي في مناطق وسط سوريا وشمالها، ووضعت تحت إمرته قوة تضم 12 ألف عسكري مدربين تدريبًا خاصًّا على حرب المدن.

ولقد عكست اضطرابات حماة تحولًا واضحًا في السياسة التي اتبعها النظام السوري في حينه تمثل في الاستعانة بالجيش والقوات المسلحة على نطاق واسع لإخماد العنف السياسي الذي اندلع بين عامي 1979م و1982م، والزج بالمدنيين في معترك الصراع مع المعارضة، وقد كان هؤلاء المدنيون هم الضحية الأبرز في هذه المجزرة المروعة، حتى إن سوريا بعد تلك الوحشية التي استخدمها النظام لم تشهد أي احتجاجات شعبية على السياسات التي ينتهجها النظام إلى عام 2011م عندما اندلعت الاحتجاجات السورية.

أعداد ضحايا حماة:

يختلف تحديد أعداد ضحايا المجزرة باختلاف مصادرها:

- يقول روبرت فيسك (الذي كان في حماة بعد المجزرة بفترة قصيرة): إن عدد الضحايا كان 10 آلاف تقريبًا.
- جريدة الإندبندنت قالت إن عدد الضحايا يصل إلى 20 ألفًا.
- وفقًا لتوماس فريدمان: قام رفعت الأسد بالتباهي بأنه قتل 38 ألفًا في حماة.
- اللجنة السورية لحقوق الإنسان قالت بأن عدد القتلى بين 30 و40 ألفًا، غالبيتهم العظمى من المدنيين. وقضى معظمهم رميًّا بالرصاص بشكل جماعي، ثم تم دفن الضحايا في مقابر جماعية.
- تشير بعض التقارير إلى صعوبة التعرف على جميع الضحايا؛ لأن هناك ما بين 10 آلاف و15 ألف مدني اختفوا منذ وقوع الأحداث، ولا يُعرف أهم أحياء في السجون العسكرية أم أموات.

خلاصة عدد الضحايا والخسائر:

- عدد الضحايا الذين سقطوا ما بين 30 - 40 ألفًا، من بينهم نساء وأطفال ومسنون.
- إضافة إلى 15 ألف مفقود لم يتم العثور على آثارهم منذ ذلك الحين.
- اضطر نحو 100 ألف نسمة إلى الهجرة عن المدينة بعد أن تم تدمير ثلث أحيائها تدميرًا كاملًا.
- تعرضت عدة أحياء وخاصة قلب المدينة الأثري إلى تدمير واسع.
- إلى جانب إزالة 88 مسجدًا وثلاث كنائس ومناطق أثرية وتاريخية؛ نتيجة القصف المدفعي.

شهادات حية:

ذكرت صحيفة النوفيلأوبزرفاتور الفرنسية بتاريخ 30 إبريل/نيسان 1982م:

«في حماة، منذ عدة أسابيع، تم قمع الانتفاضة الشعبية بقساوة نادرة في التاريخ الحديث.. لقد غزا (حافظ ورفعت أسد) مدينة حماة، بمثل ما استعاد السوفيات والأمريكان برلين، ثم أجبروا من بقي من الأحياء على السير في مظاهرة تأييد للنظام!! صحفي سوري مندهش قال موجهًا كلامه لأحد الضباط: رغم ما حدث، فإن هناك عددًا لا بأس به في هذه المظاهرة. أجاب الضابط وهو يضحك: نعم، ولكن الذي بقي أقل من الذين قتلناهم».

وتحت عنوان: «في سورية، الإرهابي رقم واحد هو الدولة» ذكرت صحيفة لوماتان الفرنسية في عددها رقم 1606 تاريخ 24 إبريل/نيسان 1982م:

هنالك على الأقل 20.000 (عشرون ألف) سجين سياسي، (وربما وصل العدد إلى 80.000 (ثمانين ألفًا) في سوريا، حيث العنف والإرهاب السياسي هما اليوم عملة رائجة. إن جهاز القمع التابع للنظام مدهش للغاية: سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد، سرايا الصراع بقيادة عدنان الأسد، الوحدات الخاصة بقيادة علي حيدر، المخابرات العامة،... وقد اشترت وزارة الداخلية مؤخرًا من شركة فرنسية عقلًا إلكترونيًّا يمكن له أن «يفيّش» (أي يضع على اللوائح السوداء) 500.000 (نصف مليون) شخص دفعة واحدة.

وذكرت مجلة الفيزد الفرنسية في عددها الصادر في مايو/آيار 1982م: «وكان القمع مميتًا أكثر من يوم حرب الكيبور (يوم الغفران)».

وتقول أيضًا: «... المدفعية الثقيلة تطلق قذائفها على الآمنين. وطوال أربع وعشرين ساعة تساقطت آلاف القذائف والصواريخ على حماة. كل مجمّع سكني وكل منزل كان مستهدفًا».

ويذكر دبلوماسي غربي في شهادته على الأحداث: «إنه أعنف قصف حدث منذ حرب سوريا عام 1941م بين أنصار حكومة فيشي من جهة وأنصار فرنسا الحرة والبريطانيين من جهة أخرى».

ويكمل شهادته الحية: وأخيرًا وحوالي منتصف الأسبوع الماضي، استطاعت الدبابات

اختراق المدينة وطوال أيام كاملة، كانت المعركة مستمرة وبشدة. من بيت إلى بيت، أو بالأحرى من أنقاض إلى أنقاض. هذا، وتتكتم الدولة على عدد القتلى والجرحى من الجانبين. ويضيف الدبلوماسي الغربي قائلًا: «ولكن الطلب على الدم في المراكز الطبية كان كثيرًا وكثيرًا مثل أيام (حرب الكيبور) التي سببت في سوريا آلافًا من القتلى والجرحى».

ويختم الدبلوماسي حديثه قائلًا: «يمكن القول إن ما جرى في الأسبوع الماضي في حماة هو (فرصوفيا أخرى)، أي مثلما حدث لفرصوفيا في أثناء الحرب العالمية الثانية... إنه فعلًا، موت مدينة».

كما ذكرت مجلة الإيكونومست في عددها الصادر في مايو (مايس) 1982م تحت عنوان أهوال حماة: «إن القصة الحقيقية لما جرى في شهر فبراير/شباط في مدينة حماة الواقعة على بعد 120 ميلًا شمال دمشق العاصمة لم تعرف بعد، وربما لن تعرف أبدًا. لقد مرّ شهران قبل أن تسمح الحكومة السورية للصحفيين بزيارة خرائب المدينة التي استمرت تحت قصف الدبابات والمدفعية والطيران ثلاثة أسابيع كاملة. ونتيجة لذلك، فإن قسمًا كبيرًا من المدينة القديمة القائمة في وسط البلد قد مُحِي تمامًا، وسوّي مؤخرًا بواسطة الجرافات».

التحقيق في أحداث حماة:

بدلًا من أن تتخذ السلطات السورية الإجراءات الكفيلة بالحد من آثار المجزرة وتداعياتها على سكان المدينة المنكوبة والمجتمع السوري بشكل عام، والتحقيق في أعمال التنكيل والعنف التي وقعت ضد الأهالي وأبيدت خلالها أسر بكاملها، فقد عمدت إلى مكافأة العسكريين المشتبه في تورطهم فيها أو الذين كان لهم ضلع مباشر في أعمال القمع، ومن بين هؤلاء العقيد رفعت الأسد الذي عين نائبًا لرئيس الجمهورية لشؤون الأمن القومي، وضباط كبار في الجيش والمخابرات جرى منحهم رتبًا أعلى، كما تم تعيين محافظ حماة آنذاك محمد حربة في منصب وزير الداخلية، وكانت تلك الإجراءات بمنزلة استهتار غير مسوغ من قبل الحكومة بالمشاعر العامة، وتأكيدًا واضحًا على استمرار منهجية القوة بدلًا من الحوار في التعاطي مع الشؤون الداخلية.

هذا إضافةً إلى السجناء السياسيين الذين أودعوا في السجون العسكرية عشرات السنين،

و إنزال عقوبة الإعدام بكل مواطن ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين، عدا عن المفقودين الذين لا يعرف أهلهم هل هم أحياء أم أموات.

ذكرى الأحداث لدى أهالي مدينة حماة:

لا تـزال ذكرى مجـزرة حماة المروعة ماثلـة في أذهان أهالي المدينة حتـى الآن (2011م)، والصور المرعبة والفظائع التي ارتكبت في أثناء تلك المجزرة جعلت أهالي المدينة يعيشون في خـوف دائم من النظـام، وحتى اليوم. ولا تكاد تخلو عائلة في حمـاة إلا وفيها قتيل أو مفقود أو مهاجر جرّاء تلك المجزرة.

صور الثنائي

صور المجزرة

المصادر

1) http://islamstory.com/

2) https://ar.wikipedia.org/wiki/

3) https://www.google.com.sa

لبنان 1982م

آرييل شارون

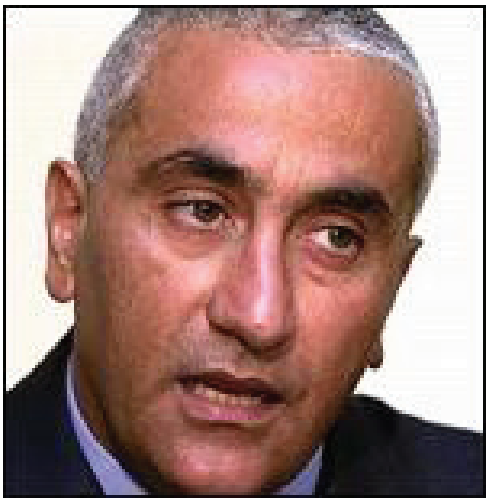

إيلي حبيقه

هذا الثنائي مختلف في العقيدة والنسب والعرق ومتفق في القتل والإبادة كل منهم فعل ما فعل لمصالحه الشخصية ولك الآن حقيقة ما حدث.

مجزرة صبرا وشتيلا

تاريخ المذبحة:

نفذت مذبحة صبرا وشاتيلا في 16 أيلول 1982 واستمرت لمدة ثلاثة أيام حتى 18 أيلول.

مكان المذبحة:

نفذت المذبحة في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان، وفيما يلي نبذة عن كل من مخيمي صبرا وشاتيلا:

صبرا هو اسم حي تابع إداريًّا لبلدية الغبيري في محافظة جبل لبنان. تحده مدينة بيروت من الشمال والمدينة الرياضية من الغرب ومدافن الشهداء وقصقص من الشرق ومخيم شاتيلا من الجنوب.

يسكن الحي نسبة كبيرة من الفلسطينيين لكنه لا يعد مخيما رسميًّا للاجئين رغم ارتباط اسمه باسم شاتيلا، مما يولد انطباعًا بكونه مخيمًا. تعود التسمية إلى عائلة صبرا التي أطلق اسمها على شارع صبرا الذي يمر في قلب الحي بادئًا في حي الدنا في منطقة الطريق الجديدة ببيروت ومارًا بساحة صبرا وسوق الخضار الرئيس ومنتهيًّا عند مدخل مخيم شاتيلا. ويسمى الشارع في المسافة بين ساحة صبرا وشاتيلا بآخر شارع صبرا.

أما شاتيلا فهو مخيم دائم للاجئين الفلسطينيين أسسته وكالة الأمم المتحدة للاجئين الفلسطينيين (الأونروا) عام 1949 بهدف إيواء المئات من اللاجئين الذين تدفقوا إليه من قرى أمكا ومجد الكروم والياجور في شمال فلسطين بعد عام 1948. يقع المخيم جنوب بيروت عاصمة لبنان. فبعد مرور شهور على النكبة ولما ازدادت الحاجة إلى وجود أمكنة للسكن تبرع سعد الدين باشا شاتيلا بأرض له، تعرف منذ ذلك التاريخ حتى اليوم بمخيم شاتيلا أرض المخيم نصفها مؤجر من قبل الأونروا والنصف الثاني ملك لمنظمة التحرير الفلسطينية والمخيم معروف بأنه المكان الذي حصلت فيه مذبحة صبرا وشاتيلا في سبتمبر 1982م بالإضافة لأحداث الحرب الأهلية اللبنانية عام 1982 وحرب المخيمات بين عامي 1985 حتى 1987م. لا تزيد مساحته على كيلو متر مربع ويسكنه أكثر من 12000 لاجئ، وبذلك يكون المخيم من أكثر المناطق كثافة بالسكان. وفيه مدرستان فقط ومركز طبي واحد. وتعاني ظروف الصحة البيئية في المخيم من سوء حاد، فالمساكن رطبة ومكتظة والعديد منها تحتوي على قنوات تصريف مفتوحة. ونظام الصرف الصحي بالمخيم بحاجة إلى توسعة كبيرة؛ ويتم حاليًّا تنفيذ مشروع للبنية التحتية في المخيم بهدف توسعة شبكة الصرف الصحي ونظام تصريف مياه الأمطار وشبكة المياه.

الجهة التي نفذت المذبحة:

استمرت لمدة ثلاثة أيام على يد المجموعات الانعزالية اللبنانية المتمثلة بحزب الكتائب اللبناني وجيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي.

وصف المجزرة:

في صباح السابع عشر من سبتمبر عام 1982م استيقظ لاجئو مخيمي صابرا وشاتيلا على

واحدة من أكثر الفصول الدموية فى تاريخ الشعب الفلسطيني الصامد، بل من أبشع ما كتب تاريخ العالم بأسره في حق حركات المقاومة والتحرير. في تلك المذبحة تحالف أعداء الإسلام من صهاينة وخونة فانضم الجيش الإسرائيلى إلى حزب الكتائب اللبناني ليسطروا بالدم صفحة من صفحات الظلم والبطش في مجزرة إلى تصفية الفلسطينيين و إرغامهم على الهجرة من جديد. صدر قرار تلك المذبحة برئاسة رافايل إيتان رئيس أركان الحرب الإسرائيلي وآرييل شارون وزير الدفاع آنذاك فى حكومة مناحيم بيجن.

بدأت المذبحة فى الخامسة من مساء السادس عشر من سبتمبر حيث دخلت ثلاث فرق إلى المخيم كل منها يتكون من خمسين من المجرمين والسفاحين، وأطبقت تلك الفرق على سكان المخيم وأخذوا يقتلون المدنيين قتلًا بلا هوادة، أطفالٌ فى سن الثالثة والرابعة وُجدوا غرقى فى دمائهم، حواملُ بُقِرَت بُطونهنّ ونساءٌ تمّ اغتصابهنّ قبل قتلِهنّ، رجال وشيوخ ذُبحوا وقُتلوا، وكل من حاول الهرب كان القتل مصيره! نشروا الرعب فى ربوع المخيم وتركوا ذكرى سوداء مأساوية وألمًا لا يمحوه مرور الأيام في نفوس من نجا من أبناء المخيمين .

48 ساعة من القتل المستمر وسماء المخيم مغطاة بنيران القنابل المضيئة .. أحكمت الآليات الإسرائيلية إغلاقَ كل مداخل النجاة إلى المخيم فلم يُسمح للصحفيين ولا وكالات الأنباء بالدخول إلا بعد انتهاء المجزرة في الثامن عشر من سبتمبر حين استفاق العالم على مذبحة من أبشع المذابح فى تاريخ البشرية ليجد جثثًا مذبوحة بلا رؤوس ورؤوسًا بلا أعين ورؤوسًا أخرى محطمة ! ليجد قرابة 3000 جثة ما بين طفل وامرأة وشيخ ورجل من أبناء الشعب الفلسطيني والمئات من أبناء الشعب اللبناني !

مجزرة صبرا وشاتيلا لم تكن الجريمة الصهيونية الأخيرة بحق الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني، فمسلسل المجازر اليومية لم ينته، والإرهابي شارون لم يتوان عن ارتكاب مزيد من المجازر في حق الشعب الفلسطيني على مرأى ومسمع العالم من العالم بأسره. وكأن يديه القذرتين اعتادتا أن تكونا ملطختين بالدم الفلسطيني أينما كان.

في ذلك الوقت كان المخيم مطوقًا بالكامل من قبل جيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي الذي كان تحت قيادة آرييل شارون ورافائيل إيتان أما قيادة القوات المحتلة فكانت تحت إمرة

المدعو إيلي حبيقة المسؤول الكتائبي المتنفذ. وقامت القوات الانعزالية بالدخول إلى المخيم وبدأت بدم بارد تنفيذ المجزرة التي هزت العالم ودونما رحمة وبعيدًا عن الإعلام وكانت قد استخدمت الأسلحة البيضاء وغيرها في عمليات التصفية لسكان المخيم العزل وكانت مهمة الجيش الإسرائيلي محاصرة المخيم و إنارته ليلًا بالقنابل المضيئة.

عدد الشهداء:

عدد الشهداء في المذبحة لا يعرف بوضوح وتتراوح التقديرات بين 3500 و5000 شهيد من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح، أغلبيتهم من الفلسطينيين ولكن من بينهم لبنانيين أيضًا.

هناك عدة تقارير تشير إلى عدد الشهداء في المذبحة، ولكنه لا يوجد تلاؤم بين التقارير، حيث يكون الفرق بين المعطيات الواردة في كل منها كبيرًا. في رسالة من ممثلي الصليب الأحمر لوزير الدفاع اللبناني يقال إن تعداد الجثث بلغ 328 جثة، ولكن لجنة التحقيق الإسرائيلية برئاسة إسحاق كاهن تلقت وثائق أخرى تشير إلى تعداد 460 جثة في موقع المذبحة. في تقريرها النهائي استنتجت لجنة التحقيق الإسرائيلية من مصادر لبنانية و إسرائيلية أن عدد القتلى بلغ ما بين 700 و800 نسمة. وفي تقرير إخباري لهيئة الإذاعة البريطانية BBC يشار إلى 800 قتيل في المذبحة. قدرت بيان نويهض الحوت، في كتابها «صبرا وشتيلا - سبتمبر 1982»، عدد القتلى بـ 1300 نسمة على الأقل حسب مقارنة بين 17 قائمة تفصل أسماء الضحايا ومصادر أخرى. وأفاد الصحافي البريطاني روبرت فيسك أن أحد ضباط الميليشيا المارونية الذي رفض كشف هويته قال إن أفراد الميليشيا قتلوا 2000 فلسطيني. أما الصحافي الإسرائيلي الفرنسي أمنون كابليوك فقال في كتاب نشر عن المذبحة أن الصليب الأحمر جمع 3000 جثة بينما جمع أفراد الميليشيا 2000 جثة إضافية مما يشير إلى 3000 قتيل في المذبحة على الأقل.

أسباب المجزرة:

قام الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي بإنزال 350 مسلحًا مسيحيًّا من حزب الكتائب اللبنانية، بذريعة البحث عن 1500 مقاتل فلسطيني مختبئين داخل المخيم وفي تلك الفترة كان المقاتلون الفلسطينيون خارج المخيم في جبهات القتال ولم يكن في المخيم سوى الأطفال

والشيوخ والنساء وقام المسلحون الكتائبيون بقتل النساء والأطفال والشيوخ بدم بارد وقدر عدد القتلى بـ 3500 قتيل، وكانت معظم الجثث في شوارع المخيم ومن ثم دخلت الجرافات الإسرائيلية وقامت بجرف المخيم وهدم المنازل.

النتائج المترتبة على المجزرة وتداعياتها:

في 1 نوفمبر 1982 أمرت الحكومة الإسرائيلية المحكمة العليا بتشكيل لجنة تحقيق خاصة، وقرر رئيس المحكمة العليا، إسحاق كاهَن، أن يرأس اللجنة بنفسه، حيث سميت «لجنة كاهن». في 7 فبراير 1983 أعلنت اللجنة نتائج البحث وقررت أن وزير الدفاع الإسرائيلي آرييل شارون يحمل مسؤولية غير مباشرة عن المذبحة إذ تجاهل إمكانية وقوعها ولم يسع للحيلولة دونها. كذلك انتقدت اللجنة رئيس الوزراء مناحيم بيجن، وزير الخارجية إسحاق شامير، رئيس أركان الجيش رفائيل إيتان وقادة المخابرات، قائلةً إنهم لم يقوموا بما يكفي للحيلولة دون المذبحة أو لإيقافها حينما بدأت. رفض آرييل شارون قرار اللجنة ولكنه استقال من منصب وزير الدفاع عندما تكثفت الضغوط عليه. بعد استقالته عُين شارون وزيرًا للدولة (أي عضو في مجلس الوزراء دون وزارة معينة).

صور المجزرة

أنباء عن سقوط ١٤٠٠ قتيل في مخيمي صبرا وشاتيلا

المصادر

1) http://www.nakba.ps/massacre-details.php?id=6

2) https://ar.wikipedia.org/wiki/

3) https://www.google.com.sa

الخاتمة

أفيـدك عزيز القارئ بأن مـا قرأته في هذا الكتاب نقل لك من المصـادر المذكورة في متن الكتاب، واخترت لك أهم الأحداث التي حدثت لهم في حياتهم والذين ذكروا في هذا الكتاب، يوجد غيرهم من أمثالهم وقد ذكروا في كتب كثيرة مشابهة لهذا الكتاب.

أسأل الله أن يحفظنا ويحفظكم من أمثالهم، و إلى اللقاء في كتاب آخر..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

للتواصل مع المؤلف

البريد الإلكتروني: <yousefhomod892@gmail.com>

رقم الجوال: 00966502755808